الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليـــم العالـــي والبحث العلمي

جامعة العربي التبســي - تبسة

جامعـــــــــــــة العربـــــــي التبسي- تبســـــــة

كلّية الآداب واللّغات

قسم اللّغة والأدب العربي

رواية السيرة الذاتية بين الأنا والآخر

سيرة المنتهى..عشتها كما اشتهتني واسيني الأعرج

مذكرة مكملة لنيل شهادة الماستر في اللغة والأدب العربي

تخصص: أدب حديث ومعاصر

إعداد الطالبة:

قادري أحلام

تحت إشراف الأستاذة:

مدوري نوال

جامعة العربي التبسي - تبسة

Université Larbi Tebessi - Tebessa

الاسم واللقب	الرتبة	الصفة
هوشات رشيد	أستاذ مساعد ـأ	رئيســـا
مدوري نوال	أستاذ محاضر ـأ	مشرفا ومقررا
عبد الرزاق يحي الشريف	أستاذ مساعد ـأ	مناقشـــا

السنة الجامعية:2024/2023

بسم الله الرحمن الرحيم

شكر وعرفان

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، الشكر لله الذي منحني القوة والصبر على إتمام هذه المذكرة

فائق الإمتنان إلى كل من أسهم في إخراج العمل

ولكل من شجعني حتى لو بكلمة، كما أرغب بتقديم خالص الشكر إلى أستاذتي الموقرة "**مدوري نوال**" على توجيهها ودعمها القيم

مقدمة

أدب السيرة فن قديم مستحدث عادة ما يروي حياة أشخاص ذوي شأن في المجتمع، أولئك من وضعوا وصمة فارقة في مجالاتهم، هذا النوع الأدبي نال صدى واسعًا لدى الأدباء فهو بوح لمكنوناتهم، مرآة عاكسة لما في نفوسهم.

أدب السيرة ينطوي تحته فن السيرة الذاتية، والتي هي نوع من أنواعه الذي لاقى اهتماما كبيرًا بين الرواة والنقاد، وبما أنها جنس يتطرق إلى أنا المؤلف وحياته الشخصية فيطرح هويته وملامحه ضمن نطاق المجتمع وإيديولوجياته وكذلك وفق علاقته مع الآخر. الأنا والآخر من المصطلحات المنتشرة في كل الدراسات: فكرية كانت أو نقدية أو ثقافية،وقد تبلورت ثنائية الأنا والآخر بوصفها موضوعا رئيسا متشعبا بين طيات رواية السيرة الذاتية وضمن هذا المسار، يتجه هذا البحث إلى محاولة دراسة السيرة الذاتية بين الأنا والآخر من خلال رواية **سيرة المنتهى..عشتها كما اشتهتني لـــواسيني الاعرج،** الذي ينقل لنا سيرة الأنا "واسيني"؛ حياته ومعراجه بإيعاز من شخصيات شاطرته الحياة انطلاقا من أسرته وأخرى ضاربة في الخيال المورق بالغرائبية.

ومن هنا نبع اختياري للموضوع الموسوم بـــ: " **رواية السيرة الذاتية بين الأنا والآخر سيرة المنتهى..عشتها كما اشتهي واسيني الأعرج نموذجا**

شغفا وحب إطّلاع على عوالم جديدة عبر الغوص في الرواية واكتشاف عالم واسيني إنسانًا ومبدعًا، إضافة إلى جدة النص الروائي وجزائريته، كذلك عدم تطرق الدارسين إلى هكذا دراسة.

تتبلور إشكالية الدراسة عبر هذه الطروحات:

كيف تمظهر الأنا والآخر في رواية السيرة الذاتية؟ وما طبيعة العلاقة التي تجمع وتفرق بينهما؟ وما صداها على مستوى جمالية الإبداع؟

وللإجابة وحل التشابك وتوضيحه، تم الإعتماد على الخطة التالية؛ قسم العمل إلى مقدمة وفصلين وخاتمة، تناول الفصل الأول مفاهيم نظرية خادمة للموضوع؛ عرّفنا السيرة الذاتية ثم نشأتها عند العرب عموما والجزائر خصوصًا بعدها مفهوم الأنا والآخر ثم العلاقة بينهما أما الفصل التطبيقي درسنا الرواية من خلال تجليات الأنا وتمظهرات الآخر فيها ثم أنهينا الدراسة بخاتمة تضمنت أهم النتائج المتوصل إليها، أما عن المنهج المتبع فقد اعتمدت المنهج الوصفي متتبعة آلية التحليل، من أبرز مصادر ومراجع المذكرة:

-رواية سيرة المنتهى .. عشتها كما اشتهتني واسيني الأعرج، بوصفها مصدر الدراسة، تليها مجموعة من المراجع لتذليل خطوات الدراسة منها:

-تهاني عبد الفتاح شاكر: السيرة الذاتية في الأدب العربي.

-أحمد ياسين السليماني: التجليات الفنية لعلاقة الأنا والآخر في الشعر المعاصر.

وككل دراسة لاقتني مجموعة من الصعوبات:

- نقص المراجع حول نشأة السيرة الذاتية خصوصًا في الجزائر.

-ضيق الوقت نظرًا لحجم الرواية المدروسة.

وقد تم التطرق لدراسة رواية سيرة المنتهى واسيني الأعرج من موضوع الواقع والمتخيل فقد قامت الدراسة على الرواية السيرية باستخراج ملامح التخييل والواقع و لم —رسالة ماستر- يسبق طرح تمظهرات الأنا والآخر إلا في الرواية قيد الدراسة

ختاما الحمد والشكر لله عزّ وجل على إعانتي لإنجاز العمل وتوفيقه، كما لا أنسى أستاذتي الفاضلة مدوري نوال على توجيهاتها القيمة وحسن نصائحها وكرم أخلاقها طيلة عملنا معًا فلها جزيل الشكر، كما هو موصول إلى لجنة المناقشة التي ستثري هذا البحث بأرائهم وتصويبهم لأخطائي.

والله ولي التوفيق

الفصل الأول:

المفهوم المصطلحي والصيرورة التاريخية

1 مفهوم رواية السيرة الذاتية

2 نشأة السيرة الذاتية

أ -عند العرب

ب - في الجزائر

3 مفهوم الأنا والآخر

4 العلاقة بينهما

أولا: مفهوم رواية السيرة الذاتية:

السيرة الذاتية ليست مفهوما حديثا مبتكرًا، بل فن قديم مستحدث، حيث يعرفها **إبراهيم فتحي** في معجمه قائلا: " سرد قصصي يتناول فيه الكاتب نفسه ترجمة حياته الخاصة ويحاول كاتب السيرة الذاتية أن يعرض حكاية مستمرة لما يعتبره أكثر أحداث حياته أهمية ودلالة" [1] فهي فن يتعلق بوقائع حياة الكاتب الذي يقدم لنا أفكاره وأحاسيسه في منجز سردي.

تداخلت السيرة الذاتية مع الجنس الأدبي الأقرب لها "الرواية"، فكل شخصية روائية تحمل شيئا من الذاتية ولكن لابد من مفارقات فحسب **جورج ماي Georg May** إنّ "ما يميز موقعنا عند قراءة رواية، ليس كون الأولى حقيقية والثانية خيالية إنّما كون الأولى تظهر لنا في لُبوس الحقيقة والثانية في لُبوس الخيال" [2] فرواية السيرة الذاتية هي مزج بين الخيال والواقع وهذا النوع الأدبي الناتج عن تداخل الجنسين غالبا ما يقوم المؤلف بإعادة تدوير للأحداث لجعلها أكثر دراماتيكية مع مسحة من الخيال دون الابتعاد عن الموقف الأصلي الواقعي —كتغير للأسماء، الأماكن– بالتالي: يقوم بإخفاء الصبغة الأدبية الخيالية على أحداث حياته المروية، إذن هي "عمل سردي روائي يعتمد اعتمادًا كليا على السيرة الذاتية للروائي، وغاليا ما تخضع الرواية السير ذاتية لبناء سردي يُماثل البناء السير الذاتي، لذا فهي تنوّع ما أمكنها ذلك في استثمار الطاقات التقنية بآلياتها للرواية والسيرة الذاتية معًا" [3]، عبارة عن كتابة استرجاعية وعملية محاكاة ينجزها الكاتب عن حياته الشخصية بهدف معين مما يتطلب إبداع وذوق خالص منه لإنتاج عمل فني أدبي متكامل.

1– إبراهيم فتحي: معجم المصطلحات الأدبية، التعاضدية العالمية للطباعة والنشر، صفاقس، تونس، دط،1986، ص 176.

2 – جورج ماي: السيرة الذاتية، تر: محمد القاضي وعبد الله حوله، بيت الحكمة، قرطاج تونس، ط1، 1992، ص 184-185.

3– فايز صلاح قاسم عثامنة : السرد في رواية السيرة الذاتية العربية (دراسة في: البناء والتقنيات والنوع)، رسالة دوكتراه، جامعة اليرموك، الأردن، 2010، ص 25.

1 1 المدلول المعجمي:

السيرة مصطلح متعدد المعاني منذ القدم وكل باحث سواء من القدامى أو المحدثين منحها تعريفات كثيرة حملت دلالات متقاربة في المعنى والتفسير فالمعاجم العربية تناولت هذه المادة اللغوية بغزارة بدءًا بـــ"معجم العين" في باب السين "سير من السير. فيقال سار يسير سيرًا مسيرًا، وسيرت الثوب والسهم بمعنى جعلت فيها خطوطًا، والسيراء برود يخالطها حرير والسير بمعنى الشراك، والجمع سيور"[1]

فنجد أن السير: الشراك حسب العين، ورد كذلك في "لسان العرب": "السيرة: الطريقة، يقال: سار بهم سيرة حسنة والسيرة الهيئة (...) وسيَّر سيرة، حدَّث أحاديث الأوائل"[2]

كما أن تاج العروس أيضا تطرق إليها فيقول: "السيرة بالكسرة السّنة، وقد سارت سيرتها والسيرة الطريقة، يقال سار الولي في رعيته سيرة حسنة، والسيرة الهيئة" [3]

المفهومان حمّلا لفظ "السيرة" ذات المعنى و لم يحيدا عنه ألا وهو: الطريقة- السنة – الهيئة.

أما في "معجم الوسيط" "مأخوذة من السيرة بمعنى الطريقة، وأدخل فيها الغزوات وغير ذلك ويقال: قرأت سيرة فلان: تاريخ حياته"[4] يمكننا القول أن السيرة الذاتية ترجمة لحياة شخص ما يحكي وقائع أحداثه الشخصية.

1- الخليل بن احمد الفراهيدي: كتاب العين، تح/ عبد الحميد الهنداوي، ج2، دار الكتاب العلمية، بيروت ، لبنان، ط1، 1424ه-2003م، باب السين، ص 298.

2- محمد بن مكرم أبو الفضل جمال الدين بن منظور الأنصاري: لسان العرب، مادة (سير)، مج4، دار الكتب العالمية، بيروت، لبنان، ط1، 2003، ص 451.

3- مرتضى الزبيدي: تاج العروس من جواهر القاموس،مادة (سير)، مج1، مكتبة الحياة، بيروت، لبنان، ط1، 2003، ص 387.

4- مجمع اللغة العربية: معجم الوسيط، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، مصر، ط4، 2004، مادة (سارة)، ص 465.

كذلك في المعاجم الغربية تطرق إليها le robertmini على "أنها نص أدبي، تروي حياة شخص"[1] نوع من أنواع الكتابة الأدبية وتعني فن سرد الشخص لقصة حياته أو جزء منها لضبط وتأريخ حقائقه.

1 2 اصطلاحا:

السيرة الذاتية فن إبداعي يعرض محطات تاريخية من حياة القاص، ليكشف للقارئ دهاليز النفس والصراع الفكري القائم داخله، تكتب لدوافع عديدة ومتنوعة وعادة لأخذ العبرة وترك بصمة أو تنويه إلى موضوع اجتماعي مهم، هذا التجنيس الأدبي شهد اهتمام كبيرا من الباحثين والنقاد سواء في الغرب أو عند العرب فوضعوا لهد عدة تعريفات كمحاولة منهم للوصول إلى تعريف دقيق ومحدد.

أ -عند الغرب:

"فليب لوجون Philippe Lejeune" يعد من أشهر رواد هذا النوع الأدبي فهو صاحب كتاب "السيرة الذاتية" الذي تحدث عنها قائلا: "حكي استعادي نثري يقوم به شخص واقعي عن وجوده الخاص، وذلك عندما يركز على حياته الفردية، وعلى تاريخ شخصيته"[2]، بمعنى أن السيرة الذاتية مواقف استرجاعية عايشها المؤلف حقيقة خلال حياته ولتوثيقها صاغها في قالب نثري سردي ويرجع "فليب" في الكتاب نفسه ليؤكد ويوضح كيف اقترن مصطلحين معا "إن مصطلح رواية السيرة الذاتية قريب جدا من مصطلح السيرة الذاتية، وهذا الأخير قريب من طرفه هو نفسه"[3] فيعرفها قائلا: "جميع النصوص التخيلية التي تجعل قارئها يضن على حق أنه

1 -Carle Aderhold, le robet mini, (langue francais f noms propres), 27 rue de la glacière, 75013 paris, 1995, p75.

2- فليب لوجون: السيرة الذاتية (الميثاق والتاريخ الأدبي)، تر: عمر جبلي،المركز الثقافي العربي، المغرب، ط1، 1994، ص 08.

3- المرجع نفسه، ص 52.

يوجد تطابق بين مؤلفها والشخصية إنطلاقا من أوجه الشبه التي يخالها تتراءى، في حين أن المؤلف خلافا للقارئ اختار أن ينفي هذا التطابق أو اختار على الأقل عدم إثباته"[1]

واستنادا على هذا القول: رواية السيرة الذاتية مرتبطة بعنصر الخيال وبعيدة عن الجانب التاريخي على أن يكون المؤلف والشخصية نفس الشخص نفسه وهذا التطابق حتى لو رفض السارد الإقرار به أحيانا، فإن المتلقي يستلهمه ويفهم من خلال السياق أنها سيرة تحكي تجارب حياتية للكاتب.

ففليب لوجون فرق بين المصطلحين وجعل بينهما نقطة اتصال في الآن ذاته، فمزج بين ما هو حقيقي واقعي مع ما هو مخيل أو خيالي بهدف الوصول إلى بعض دهاليز النفس عن صاحبها، والكشف عن كوامن قضايا وصراعات خاضها في حياته من خلال نص سردي متتابع ذو تميز وإبداع يعكس وقائع الأحداث مما يجعلها تنطوي تحت لواء الفنون الأدبية.

ب - عند العرب:

حظي مصطلح "السيرة الذاتية" باهتمام ورواج واسع بين المفكرين والباحثين، خصوصا لما اقترن بالجنس الأدبي الأشهر **الرواية،** فتشكل لنا بما يسمى برواية السيرة الذاتية.

تجد "عبد العزيز شرف" تحدث بصفة عامة: "فالسيرة إذا تنبع من القاموس الإنساني الذي يحوي معظم لغات البشر كلمات تعبر عن الوحدة والعزلة والإنطواء، والاستبطان والتفكير العقلي، والضمير والوعي الفردي"[2] حيث يرى أنها ترجمة لتجارب إنسانية وتعبير عن الصفات الذاتية للشخصية البطل وكيفية تطورها كما "(...) أن يكتب المرء بنفسه تاريخ نفسه، فيسجل

1- المرجع نفسه، ص 14.

2- عبد العزيز شرف: أدب السيرة الذاتية، مكتبة لبنان، الشركة المصرية العالمية للنشر لونجمان، دط، القاهرة/1992، ص07.

حوادثه وأخباره ويسرد أعماله وأثاره، ويذكر أيام طفولته وشبابه وكهوله، وما جرى له فيها من أحداث (..) لأنها ليست مجال تخمين أو افتراض، ولكنها مجال تحقيق وتثبيت"[1]

فهي أحداث ومنية متعلقة بالمتحدث شاملة لحياته أو مرحلة ما منها وهي عملية إثبات ونقل لتاريخه الشخصي وهذا النوع الأدبي كان مادة دسمة نَهَلَ منها رواد الرواية العربية نظرًا لأنها أكثر الأشكال الفنية قربا منها، بغية الكشف عن مكنوناتهم وربما عبور حواجز وضعها المجتمع لهم، والتحرر من قيودهم البشرية الإجتماعية بالإدلاء عن انفعالاتهم ويومياتهم أو قد يكون الهدف تقديم عبرة ترسخ عبر توالي الأزمان.

عرف "محمد صابر عبيد" رواية السيرة الذاتية على أنها "عمل سردي روائي، يستند في مدونته الروائية في سياقها الحكائي اعتمادًا شبه كلي على واقعة سير ذاتية واقعية، تكتسب صفتها الرائية، أجناسيا بدخولها في فضاء المتخيل السرديـــ على النحو الذي يدفع كاتبها إلى وضع كلمة (رواية) على غلاف الكتاب في إشارة أجناسية ملزمة للقارئ وموجهة لسياسته القرائية النوعية"[2] وعليه نستطيع القول: أنها قاعدة تقوم أساسيا على واقع ذاتي متجانس مع فضاء التخييل ليُكسبها صفة الروائية التي توجه القارئ وتحدد له النوع الأدبي المقدم له، ومنه فهذا التداخل بين "السيرة الذاتية" و"رواية السيرة الذاتية" لابد أن يكون كاتبه فنانا ذواقًا لإضفاء الجنس الجمالي على الترجمة والبوح الذي اتخذ قالب فني مُحمّل بتقنيات وآليات متعددة وبذور إنسانية وقضايا جمة، فالتشابك بين الجنسين أسهم في تكوين عمق وحيوية على مستوى المضمون في الأعمال الأدبية مما كان لافتا لاهتمام القراء الذين يبحثون عن ارتباط بين الخيال والحياة الواقعية.

1- محمد عبد الغني: التراجم والسير، دار المعارف، القاهرة، ط3، دت، ص 03.

2- محمد صابر عبيد: السيرة الذاتية الشعرية، عالم الكتب الحديثة للنشر والتوزيع، ط1، 2008، ص 115.

1 3 نشأة رواية السيرة الذاتية:

أ -عند العرب:

- **قديما:**

نعود أصول السيرة الذاتية إلى القرن الأول الهجري/ السابع ميلادي، فالظروف آنذاك قد سمحت بتسلل هذا الفن الأدبي واقتحامه الأدب العربي، لأن الإنسان بطبيعته يتأثر بالمجتمع الذي يعيش فيه، فمنذ الجاهلية وعند انتشار العصبية القبلية 'كانت كل قبيلة تسعى للظهور على القبائل الأخرى ومفاخرتها، فتسهب بالحديث عن أنسابها وأصولها .. فيسرع شعراء القبائل المنتصرة بنظم شعر الفخر'[1] وهكذا كان الشعر وقتذاك الفن الملائم لنقل الأيام والحروب التي عاشها عرب الجاهلية فهو سهل الحفظ والتداول بين الرواة للاعتزاز بكل ما يملكونه، وقد كان الشاعر العربي مع قبيلته محقة أو خاطئة و "قد عبر عن ذلك الشاعر الجاهلي دريد بن الحمّة بقوله

غويت وإن ترشد غزيّة أرشد وهل أنا إلا من غزيّة إن غزت

وولاء العربي لقبليته لا يعني نقص إحساسه بذاته، بل بدل على شدة إحساسه بها" [2] الشاعر الجاهلي صور في شعره انتصاراته وأمجاده هو وقبيلته، لذا تضمن الشعر العربي الجاهلي سير ذاتية فنجد فيه ملامح عن حياة الشعراء وشخصية العربي القديم وتجاربه.

أما بعد ذلك وصلنا أول عمل سير ذاتي نثري من العصر الإسلامي وكان ما رواه **سلمان الفارسي (36ه-656م)** عن نفسه فقد "تحدث سلمان الفارسي في هذه القطعة من السيرة الذاتية عن نسبه، وحب والده له وخوفه عليه، ثم عن أسباب تركه للدين المجوسي وإعتناقه النصرانية.. ويتضح من سيرة سلمان أنه تحمل كثيرا من المشاق في سبيل الوصول إلى الدين

1- تهاني عبد الفتاح شاكر: السيرة الذاتية في الأدب العربي، ص39.

2- تهاني عبد الفتاح شاكر: السيرة الذاتية في الأدب العربي، ص40-41.

الحق"[1] فسيرته أوحت لما بكم الصعاب التي مر بها الفارسي حتى يتعرف على الدين الإسلامي وصولا إلى الحرية متخلصا من عبودية وظلام كل ما هو بعيد ومغاير عن ديننا الحنيف.

نذكر بعدها سيرة **ابن الهيثم** المكتوبة سنة (**418**ه) التي يمكن إعتبارها "سيرة فلسفية، يظهر فيها تأثر ابن الهيثم لما كتبه جالينوس عن فسه، .. يذكر في أكثر من موضع أنه يجد نفسه يعيش في موقف قد عاشه جالينوس وعبر عنه"[2]

ومن الكتب التراجم كذلك التي ضمنت قطع سيرية بين طياتها معجم **الأباء لـــياقوت الحموي** فأورد السيرة الذاتية لـــ **علي بن زيد البيهقي (565ه)** الذي "يبدأ .. سيرته بذكر مولده والأماكن التي كان يعيش فيها، ثم يذكر شيوخه، والكتب التي درسها، والوظائف التي شغلها.."[3] فالترجمة الشخصية تعد بذرة أولى للسيرة الذاتية.

حسب التدرج التاريخي لأصول وإرهاصات هذا الفن يجب الحديث عن كتاب **المنقذ من الضلال لـــلغزالي (505ه)** "الذي يصور فيه صراعا داخليا مستمرا، أدى إلى تركه التدريس، وزهده في الحياة، واتباعه طرق الصوفية"[4] فالغزالي كان صريحا في كتابه و لم يتسم بالغموض، ومع كل السير السابقة الذكر لعل آخر بذورها في الأدب العربي القديم ما وصلنا في كتاب خاص: ألا وهي سيرة **ابن خلدون (808ه)** التي عنونها بـــ**التعريف بابن خلدون ورحلته شرقا وغربا** "وقد بدا السيرة بالحديث عن أصول عائلته التي أرجعها إلى عرب اليمن .. وتحدث عن إقامة عائلته في إشبيلية ثم انتقالها إلى تونس حيث ولد فيها سنة 732ه، ثم انتقل للحديث عن

1- المرجع نفسه: ص 40.
2- المرجع نفسه: ص 44.
3- المرجع نفسه: ص47
4- المرجع نفسه: ص 54.

نشأته .. وعن رحلته من تونس إلى الأندلس، ثم عودته إلى إفريقيا وسفره إلى الإسكندرية .. وغير ذلك من الرحلات" [1]

كانت هذه أهم النماذج للسيرة الذاتية الحديثة فهي أصول أولية كانت من سمة النقص كأي جنس أدبي في بدايات تشكله لأن كل عصر أدبي تكون أشكاله الأدبية في تطور مستمر.

- **حديثا:**

رواية السيرة الذاتية ككل الأجناس الأدبية لها إرهاصات سابقة لظهورها كفن قائم بذاته، فنجد أن النقاد العرب اتخذوا منها موضوعًا لدراساتهم سواء قديما أو حديثا ".. كانت هذه الإرهاصات في معظم الحالات، وثيقة الصلة بالموروث التراثي، وفي بعض الحالات متأثرة بالأدب الغربي" [2] فالاحتكاك بين الشرق والغرب أمر مسلّم به أدى إلى هذه النهضة العربية الحديثة، لذا نجد نماذج تؤكد أصول السيرة الذاتية سواء في المشرق أو المغرب العربي؛ بدءً بما كتبه "محمد بن عمر التونسي" في كتابه **تشحيذ الأذهان بسيرة بلاد العرب والسودان** عام **1832** ".. احتوت مقدمة هذا الكتاب على سيرة المؤلف، الذي قام بتأليف الكتاب بإيحاء من طبيب فرنسي 'بيرون' وقد أراد "بيرون" لمذكرات محمد بن عمر أن تصبح كتابا للمطالعة في العربية، لكن محمد عمر قصر سيرته على جزء من مقدمة الكتاب، وحول سائر الكتاب إلى كتاب التاريخ"[3]

1- المرجع نفسه: ص 60.

2- تهاني عبد الفتاح شاكر: السيرة الذاتية في الأدب العربي (فدوى طوقان وجبرا إبراهيم جبرا وإحسان عباس نموذجا) دار فارس للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 2002، ص، ص 67.

3- المرجع نفسه، ص 67.

كذلك كتاب **تخليص الإبريز في تلخيص باريز 1834 لـــ"رفاعة الطهطاوي"** الذي عُدَّ من من أوائل الكتب التي أشارت إلى فن السيرة الذاتية "وقد كان غرض رفاعة، وصف رحلته التي قام بها إلى فرنسا كما نصحه شيخه العطار"[1]

وبما أننا في مصر لا يجب أن نمر دون ذكر **الأيام** للأديب الكبير "طه حسين" **1929** "وقد استعان طه حسين في سيرته بالأسلوب القصصي الروائي، الذي مكنه من رسم بعض الثور التامة للشخصيات المحيط به، وتصوير شخصية تصويرا مؤثرا، وقد احدث عن نفسه بضمير الغائب، أو أشار إليها بكلمة الفتى"[2] ولتشابه نشأته مع "أحمد أمين" **1950** كتب هذا الأخير سيرته في كتاب معنون بـــ **حياتي** فهو ".. يشبه طه حسين في دراسته في الكتّاب، ثم الأزهر، ثم عمله في الجامعة.."[3] أحمد "استعان بالأسلوب التقرير الإخباري" [4] فهو خالف عديد الكتب في طرية تدوينهم لسيرهم وقصص حياتهم.

أما في المغرب نجد رواية **الخبز الحافي** لـــ"محمد شكري" واسعة المدى والانتشار حيث ".. صور فيها رجلة الهجرة من الريف إلى طنجة، بحثا عن الخبز الذي كان فقدانه في طنجة أيضا سببا في قتل والده لأخيه الأصغر"[5]، التي هي معاناته مع الفقر والحرمان والتهميش فتكون رجع صدى لمعاناة الطبقة الكادحة من الشعب المغربي.

إضافة إلى من الرواة المغاربة أيضا "عبد المجيد بن جلون" بمؤلفه **في الطفولة 1975**، وعرفت دول المشرق: كمصر والمغرب العربي كتونس والمغرب عرفت تطورا في فن السيرة حيث

1- المرجع نفسه، ص 70.
2- تهاني عبد الفتاح شاكر: السيرة الذاتية في الأدب العربي، ص76
3- المرجع نفسه، ص 78.
4- المرجع نفسه، ص 79.
5- المرجع نفسه، ص82.

انتشرت عديد الروايات السير الذاتية التي أعطت تصورا واضحا عن هذه البلدان ومؤلفيها وما عايشوه من وقائع وتجارب حياتية.

ب - في الجزائر:

عايشت الجزائر سلفا استعمارا فرنسيا، تسلط واستهدف أفكار شعب ومبادئه، جاء بغية مسح كيان وتاريخ بأكمله ولطمس هوية واستلابها.

وهذا انعكس سلبا وإيجابا؛ على النهضة الفكرة الثقافية الأدبية على حد سوى، فكما عرفت هذه الحركة جمودا في البداية بسبب حياة اللااستقرار واللاأمن ونقص الإمكانيات إلا أنها كانت سببا للنهضة نتيجة للتحولات السياسية في البلاد، وعليه يمكن القول أن "الأدب الجزائري صفحة هامة في الأدب العربي ولكن حالت الظروف دون نشر هذه الصفحة أو إلقاء الضوء عليها فإن ذلك لا يقلل من أهميتها القومية بل ربما حفز الباحثين على بذل جهود لنشرها ووضعها في مكانها من تراث الأمة العربية الأدبي" [1]، ففن "السيرة الذاتية الروائية" نشأ في الأدب الجزائري في أعقاب حركة التحرير الوطنية الجزائرية والاستقلال للتعبير عن توجهات الفرد والمجتمع فنيا وإيديولوجيا وقد كانت من أفضل الفنون والأجناس الأدبية حينذاك لأنه سلطت الضوء حول معاناة شعب ومقاومته، وتأثير الأحداث الإجتماعية والتاريخية في حياة الأدباء ورغبتهم في توثيق قضيتهم وتجاربهم الفردية.

يمكن ان نستدل في هذا الأمر بمجموعة من الأعمال الجزائرية التي جاء ت في تلك الأوقات، ونستطيع القول أن "مولود فرعون" بدأت معه إرهاصات ميلاد هذا الفن. نُشرت روايته **ابن الفقير** سنة **1950** وهي أول عمل جزائري جمع بين الواقع والمتخيل وبين الرواية والسيرة الذاتية وهي عمل جد مهم تهافت عليه العديد لترجمتها إلى 25 لغة عالمية، لما حوته من قيم وافكار إنسانية، لإذن "لم يتقيد بما قام به الآخرون، حيث صرح بشكل مباشر أنه يكتب عن

1- سعد الله أبو القاسم: دراسات في الأدب العربي الجزائري الحديث، دار الرائد للكتاب، الجزائر، ط5، 2007، ص2

نفسه"[1] حيث لم ينكر فرعون في روايته أنها حكي عن نفسه بل اعترف بأنها رسم له ولمسقط رأسه.

كما نجد كُتَّاب دونوا سيرهم بأسلوب غير مباشر فـــ"تحضى رواية السيرة الذاتية في الأدب الجزائري بقسط وافر حتى وإن لم يعترف الكتاب بذلك صراحة ولجئوا في ذلك إلى نوع من الانتقائية والتصرف في الأحداث ومحاولة صرف انتباه القارئ عن ذواتهم بكل أساليب التمويه والمراوغة"[2] فهي سيرة ذاتية له لكن مع بعض التغيير والتمويه التي حكت طفولته المعلومة واضطهاد المجتمع الواقع تحت الحصار.

-**عبر الزهور والأشواك** لـــ"لزهور ونيسي" **2012** حيث تسرد الكاتبة سيرتها بصدق وواقعية.

-**العشق والموت** للكاتب الجزائري الكبير الطاهر وطار.

-**يوميات الوجع** لـــ"عمار بلحسن" التي تتضمن المرحلة الأخيرة من عمره مصارعا المرض.

وكذلك "عبد الملك مرتاض" في **الحفر في تجاعيد الذاكرة** التي تعد لوحة فنية إبداعية للجمال الطبيعي والمورث الفكري.

كما لا يغيب عن أذهاننا العملاق "واسيني الأعرج" عند الحديث عن هذا الجنس الأدبي فنجد روايته **سيرة المنتهى.. عشتها كما اشتهتني** التي صدرت عام **2014** فاختار تدوين روايته مع أسلافه الأندلسيين، والتي ستكون الجزء التطبيقي لمذكرتي.

1- أحمد منور: رواية السيرة الذاتية في الأدب الجزائري المعاصر "ابن الفقير أنموذجا"، مجلة المساءلة-مجلة فضيلة- يصدرها إتحاد الكتاب الجزائريين، ع1، 1991، ص 185.

2- المرجع نفسه، ص 38.

ومع كل الأسماء المذكورة نتوصل إلى أن "السيرة الذاتية الروائية" أسهمت في بناء وتشكيل السرد الأدبي لتاريخ جزائرنا وقوميتنا، وتلك الأعمال نوافذ لفهم تأثير السياق السياسي الثقافي والاجتماعي والإيديولوجي على الحياة المجتمعية على حسب وجهة نظر المؤلف وتوجهه.

ثانيا: مفهوم الأنا والآخر:

إشكالية "الأنا والآخر" من المسائل القديمة التي تعد عنصر هام في كل أنواع الخطابات أدبية كانت أو فكرية أو ثقافية ..

عرف المصطلحين –الأنا والآخر- تشعبات كثيرة من عديد الدراسات، وسعيا منا لإبراز هذه الثنائية سنتطرق إلى مختلف الجوانب لتحديد هذه المفاهيم والفصل فيها.

2-1- الأنا:

2 1 1 المدلول المعجمي:

وردت "الأنا" في "لسان العرب" أنها: "اسم مكنى وهو للمتكلم وحده، وإنما يبنى على الفتح فرقًا بينه وبين أن التي هي حرف ناصب للفعل، أما الألف الأخيرة إنما هي لبيان الحركة في الوقف"[1] أما في الوسيط "ضمير رفع منفصل للمتكلم والمتكلمة"[2]

بمعنى أن "الأنا" وصف لشخص مذكر أو مؤنث وتخص المتكلم وحده وتعكس شخصيته، أما في معجم اللغة العربية المعاصرة "أنا" هي: "ضمير رفع منفصل مبني على السكون للمتكلم أو المتكلمة، ألفه الأخيرة لا تكتب ولا تلفظ إلا في الوقف أو ضرورة الشعر، يجمع على "نحن" ولا يثنى ولا يقع مضاف ولا نعتًا ولا منصوبًا" [3] فالأنا جمعها "نحن" كما لها مواضع لا تشغلها في الإعراب فهي لا تخرج عن كونها ضمير يعبر عن المتكلم.

1- ابن منظور: لسان العرب، دار صادر، بيروت، لبنان، مج1، مادة (أذن-أنى)، ط4، 2005، ص 182.

2- إبراهيم مصطفى وآخرون: معجم الوسيط، ج1، المكتبة الإسلامية للطباعة والنشر والتوزيع، ط2، تركيا، 1972، ص 28.

3- أحمد مختار عمر: معجم اللغة العربية المعاصرة، ج1، عالم الكتب، ط1، مصر، 2008، ص 125-126.

2 1 2 اصطلاحا:

لا يختلف إثنان أن المفهوم الاصطلاحي لا يمكن حصره لأنه متعدد المفاهيم وتشارك فيه مختلف العلوم، وسنأخذ رؤية وجيزة من خلالها ونحاول عرض بعض التعاريف سواء فلسفيا، أدبيا، نفسيا، اجتماعيا، .الخ.

أ -فلسفيا:

نظرا لاختلاف المذاهب الفلسفية وتكاثر الرؤى الفكرية فإن "الأنا" يُعتبر من الأولويات باعتباره كائن حي متفرد.

فمن منظور الفلاسفة العرب هي: "الإشارة إلى النفس المدركة أما في الفلسفة الحديثة تشير كلمة "أنا" في معناها النفسي والأخلاقي إلى الشعوري الفردي الواقعي، إلى ما يهتم به الفرد من أفعال معتادة بنسبها إلى نفسه، أما في المعنى الوجودي فتدل على جوهر حقيقي نابت يحمل الأعراض التي يتألف منها الشعور الواقعي فهو مفارق الإحساسات والعواطف والأفكار، أما في المعنى المنطقي فتعني كلمة "أنا" على مدرك من حيث أن وحدته وهويته شرطان ضروريان يتضمنهما تركيب المختلف الذي في الحدس، وارتباط التصورات عن أحواله وجودًا"[1]

بمعنى أن لفظ "أنا" يحمل الأعراض التي يتكون منها الشعور الواقعي وأحاسيسه وهذا حسب المعنى الأخلاقي الوجودي، أما المنطقي يعتبر الأنا مجموعة إدراكات وتجارب يخوضها الإنسان ليحدد هويته ووجوده، وكل هذا ضمن الفلسفة الحديثة، إضافة إلى اسهامات الفلسفة الوجودية ومشاركتها بنصيب وافر حول هذا المصطلح إذ ترى أن: "الإنسان وحده هو الذي يحوز الوجود، وهم نادرًا ما يستخدمون كلمة إنسان وإنما يدلون عليه بتعبيرات مثل "الموجود هناك" والوجود و"الأنا" و"الوجود لأجل ذاته"" [2] فالأنا عند الوجوديين مرتبطة بالوجود

1- جميل صليبا، المعجم الفلسفي، ج1، دار الكتاب اللبناني، بيروت، لبنان، 1986، ص 139-140.

2- سلمى بوغازي: أصول فلسفة سارتر، مكتبة المجتمع العربي، ط1، عمان، 2016، ص 188.

الإنساني البشري وحده وقد أعطوا لها ملولات تعبيرية أخرى، مما يعني أن منطلقات الأنا مرتبط بالوجود .

أما عند الإنزياح إلى الغرب نجدهم كذلك يعتبرون "الأنا" تقريبا "النفس" وعلى رأسهم الفيلسوف روني ديكارت الذي فَعَّل همزة الوصل بين الأنا فكرًا والأنا وجودًا من خلال الكموجيتو بقوله: "أنا أشك، وأعرف أني أشك، بالتالي فأنا أفكر، وإذن فأنا موجود"[1]

فالتفكير مرتبط بالوجود واسبق منه، وهذا التفكير مرتبط بالشك لكوننا دائما نريد الوصول إلى صحة الأشياء وبهذا يُثبت الوجود الذي لا ذات دونه.

ب - نفسيا:

أول من تصدر الحديث عن "الأنا" كان النمساوي "سيغموند فرويد Sigmund Freud" فهو يرى أنها متعلقة بالشخصية الإنسانية في "اكتشاف تلك الحقيقة الهامة وهي أن جزءً كبيراً من حياتنا العقلية لاشعوري، وأن لهذا الجزء اللاشعوري من حياتنا العقلية تأثيرا كبير على سلوكنا ومشاعرنا سواء في حياتنا السوية أو فيما تتعرض له من اضطرابات وأمراض نفسية" [2] فكل إنسان تنقسم شخصيته عند فرويد إلى ثلاثة فروع أساسية فـــ".. النفس الإنسانية أو البشرية تتألف أو تتكون من الأنا Egoالنفس الذاتية، والهو أو الهي id النفس البدائية، والذات العليا super ego النفس اللوامة"[3] وكل واحدة منها لها جانب، فالهو يمثل الجانب اللاشعوري في الشخصية وهي دوافع تولد مع الإنسان غير منضبطة وتوصف بالبدائية و"الأنا" هي رابط بين ذات الفرد والعالم الخارجي وهي الجانب الواعي الذي يلجم الرغبات الغريزية.

1- محمد عابد الجابري: مدخل إلى فلسفة العلوم، مركز الدراسات الوحدة العربية، ط5، لبنان، 202، ص 261-262..

2- سيغموند فرويد: الأنا والهو، تر: محمد عثمان نجاتي، دار الشروق، عمان، ط4، دت، ص 12.

3- محمد مصطفى زيدان: معجم المصطلحات النفسية والتربوية، دار الشروق للنشر، لبنان، ط2، 2004، ص 323.

أما الثالثة فهي "الأنا الأعلى" الجزء الضابط للسلوك ومركز القيم والمبادئ الأخلاقية وبوصلتها.

كما يفرق "يونغ Jong" بين الأنا والذات فحسبه "أن الذات عبارة عن كيان يفوق الأنا تنظيما تختص الذات النفس الواقعية، والنفس الجماعية، وتتشكل بذلك شخصية أوسع وتلك الشخصية هي نحن" [1] ففي اعتقاده "الأنا" تتميز بالفردية فتتخذ "الذات" مفهوم أوسع واستقلالية شاسعة فـــ"الكلام على الذات ليس الكلام على الأنا"[2] فالذات ليست الأنا.

وتبقى هناك دائما هناك اختلافات في الآراء حسب الدراسات النفسية حول المفهوم المرتبط بالشخص.

ج أدبيا فنيا:

عند التطرق إلى "الأنا" من هذه الناحية نجد أنه مصطلح شائع في الحياة اليومية وهو من الضمائر الموجودة والمكررة في النصوص الأدبية فهي: "غرور يعتري الإنسان الأديب والفنان، وحب النفس يطغى على الإنسان في دائرة نشاطه، إعجاب بما يقوم به من أعمال" [3] أي اعتزاز قد يصل للكِبَر بالإنسان من حب نفسه وإعجابه بفنه وإنتاجه، كذلك هي "شعور يبرز الذات بشكل طاغٍ بحيث ينشط الفنان ضمن دائرة لا تتعدى حدوده الشخصية" [4] ومع كل ذلك الفخر بنشاطه إلا أنه ينحصر في دائرة يخلقها هو بنفسه لنفسه، فالأنا عبَّرت عن ذات الفنان وحريته المقيدة داخل قوقعته الخاصة.

1- أحمد ياسين السليماني: التجليات الفنية لعلاقة الأنا بالآخر في الشعر العربي المعاصر، دار الزمان، دمشق، سوريا، دط، ص 98.

2- بول ريكور: الذات بينها كآخر، تر: جورج زيناتي، مركز المنظمة العربية، بيروت، لبنان، ط1، 2005، ص 36.

3- محمد التونجي: المعجم المفصل في الأدب، ج1، دار الكتب العلمية، ط2، لبنان، 1999، ص 133.

4- محمد بوزواوي: قاموس مصطلحات الأدب، دار مدني، دط، دب، 2003، ص 43.

"الأنا" "تعبير يعني الذات الواعية، وقد يُستخدم المصطلح ليشير إلى تلك السمو أو ذلك المكون من مكونات الشخصية الذي يسيطر بأكثر الطرق مباشرة وفورية على الفكر والسلوك، فهو "الأنا" التي تشعر وتفكر وتميز الشخصية عن الذوات الشخصية الأخرى"[1].

أي استخدام هذا الضمير داخل سياق ما يحدد معنى مراد، ويضيء ذات عن أخرى، وهنا نجد أن "الأنا" منفردة مستقلة عن الغير، فأنا تعني ذاتي، ومن المنظور الأدبي تعتمد على الضمائر التي تتفاعل من خلال النصوص الأدبية، وقد تكون ظاهرة أو مستترة غائبة "..تتجلى من خلال ثنائية الحضور والغياب في تعاقب يضمن تأسيس وحدة ضمائرية، تربط العمل ربطًا يتسق وبناءه الأدبي"[2] فهذه الثنائية وتعاقبها تعبر عن ذات الفرد في سياق ما مما يضمن الاتساق والانسجام داخل النصوص الأدبية.

2-2- الآخر:

2 2 1 المدلول المعجمي:

ذكر "الآخر" في عديد المعاجم، فالوسيط قال عنه: "أحد الشيئين ويكونان من جنس واحد"[3]

أما "لسان العرب" "اسم على أفعل والأنثى أخرى، إلا أن فيه معنى الصفة لأن افعل من كذا لا يكون إلا في الصفة، وتصغير آخر أو يخر"[4]

نستنتج مما سبق أن "الآخر" يأتي مخالفا أي يقابل ذاتا مختلفة عنه، على وزن أفعل ويتخذ معنى الصفة. فهو يدل على الغيرية وهذا ما جعل جميع المعاجم تتفق على نفس المفهوم.

1- إبراهيم فتحي: معجم المصطلحات الأدبية، التعاضدية للعمالية للطباعة والنشر، دط، تونس، دت، ص47.
2- رضوان جنيدي: جماليات الأنا في الشعر المغربي القديم، دار الأيام، ط1، عمان، 2015، ص 24.
3- مجمع اللغة العربية: المعجم الوسيط، دار الشروق الدولية، مصر، ط4، 2008، ص 08.
4- ابن منظور: لسان العرب، مج1، دار الجيل، دار لسان العرب، لبنان، دط، 1988، ص38.

ووردت هذه اللفظة كذلك بمعنى "الآخر ضد القدم .. والآخر أيضا الغائب، الآخر في الأصل أشد تأخر في الذكر ثم أجرى مجرى الغير"[1]

كلمة آخر جاءت من الفعل أخَّر أي أجل الشيء وتأخر عنه، كما حملت عدة معاني منها: الضد والغياب –عدم الحضور– والغير نقيض الأنا.

2 2 2 اصطلاحا:

يشكل "الآخر" عنوانا لموضوعات كثيرة المضامين سواء ثقافية اجتماعية وفلسفية وغيرها، وله حضور كبير في الكتابات المعاصرة.

أ –فلسفيا:

"الآخر" هو ضد "الأنا"، وهذا إقرار صريح بتواجد حياة أخرى خارجة عن دائرة الذات، فهو يشير إلى كل مخالف للذات سواء في الجنس (**الذكر/الأنثى**) الطبقة (**الفقير/الغني**) (**الشرق/الغرب**)، (**العربي/الغربي**) ..الخ.

فنجد أن "الآخر" يحمل معنى "الضد والمختلف والنقيض للأنا بما يحمله من صفات وخصائص متنوعة ومتباينة"[2]

1– البستاني بطرس: محيط المحيط، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، طج، مادة أده، ص05.

2– محمد كمال سرحان: الذات والآخر في رواية (حب كوبنهاجن) لمحمد جلال، دكتوراه في الأدب الحديث، جمهورية مصر العربية، مجلة جامعة ناصر، ع6، م1، 2015، ص 244.

كما يرى "مراد وهبة" بأنه "أحد تصورات الفكر الأساسية ويزداد به ما سوى الشيء مما هو مختلف أو متميز"[1]

أي أنه كل ما هو متمايز عن الذات ويقابلها في المعنى ومنبعه الفكر، ويُعرف في كتاب "فلسفة المرأة" على أنه: "عبارة مقوم جوهري من مقومات الذات، من حيث أنها لا تكون كذلك إلا من خلال "الآخر" بمعنى أنني لكي أكون موجودا بوصفي "أنا" يجب أن أجد "آخر""[2]

المعنى هنا أن "الآخر" ضرورة لتحديد "الأنا"، فمعرفة الذات مربوطة بمعرفة "الآخر" وعلى هذه الصورة يأتينا رأي متناقض تماما لما في أعلاه فهناك من الفلاسفة من يرى أن "الآخر" ليس ضروري "للأنا" كديكارت وهناك من يرى أن "الأنا" تتحدد بمقارنتها بـــ"الآخر" كالألماني "هيجل" والفرنسي "سارتر" الذي يقول أن "الآخر": "هو الأنا الذي ليس إياي، فنحن ندرك هنا إذن سلبا بوصفه مكونة لوجود الغير"[3]

"ليس" هنا تشير إلى العدم فيصفه كفاصل مثبت بين الغير والنفس -الأنا- فالآخر يأتي معاكسا ومقابلا للأنا.

الآخر عند "ميشال فوكو" Michel Foucault هو : "اللامفكر في الفكر نفسه أو هو الهامشي الذي يستبعده المركز" [4]

حيث أن كل شخص يُهمل "الآخر" ويهتم بأناه لا سواها، لاعتقاد أنه فير لازم ولا ضرورة له في الوجود فيجعله هامشيا معزولا لا قيمة له رغم أنه العكس فوجوده حتمي للذات لتبرز إنما هو فقط مختلف عنها لا يماثلها.

1- مراد وهبة: المعجم الفلسفي، دار قباء الحديثة، دط، مصر، 2007، ص 449-450.

2- محمود رجب: فلسفة المرأة، دار المعارف، ط1، مصر، 1994، ص 203.

3- جان بول سارتر: الوجود والعدم، تر: عبد الرحمان البدوي، منشورات دار الأدب، ط1، لبنان، 1966، ص 393.

4- سعد البازغي وميجان الرويلي: دليل الناقد الأدبي، المركز الثقافي العربي، ط3، المغرب، 2002، ص 22.

أما عند (هيدغر Eddgor) "مرتبطا بالسقوط، فهذا الآخر قد رمى به في هذا العالم، غير أنه لا يملك سوى التسليم به، وهذا السقوط قد يؤخذ على معنيين أحدهما إيجابي والآخر سلبي، أما كونه إيجابي فلأن بغيره ما كان يمكن وجودي أن يكشف لنفسه ولولاه لظل وجودي في إمكانات الوجود لا نهاية لها، أي أن سقوطي هو الذي حددني وبتحديدي تحقق وجودي العيني"[1]

فهيدغر قصد بالسقوط وجوده في هذا العالم مع "الآخر" مما أدى إلى تفعيل صفة الكينونة وبهذا يكون عنصر فعال في تشكيل ماهية "الأنا" مع أنه يعد قيد لها وهنا يكمن الجانب السلبي.

ب – ثقافيا:

مع التطور الحاصل في كل المجالات كانت الدراسات الثقافية لها نصيب شاسع من مفهوم "الآخر" فحسب ما قيل في تاريخ الاستشراق: "التكوين الثقافي والجغرافي والإنساني عموما المغاير للغرب والمسمى الشرق"[2]

فنفهم أنه مرآة للحياة الثقافية الجغرافية، للحضارة الغربية المقابلة لحضارة الشرقية بمعنى أنه/ "كل ما هو غيري أي ما هو خارج نطاق الذات"[3] و"الآخر" أيضا: "المختلف في الجنس أو الانتماء الديني أو الفكري أو العرقي"[4]

أي الغيرية في كل المفاهيم والخروج عن "الأنا" في كل الإنتماءات، بمعنى المختلف عن الذات.

1- حنان معزي: حوار الأنا والآخر في رواية كتاب الأمير مسالك أبواب الحديد لواسيني الأعرج، مذكرة مقدمة لنيل شهادة ماجستير، جامعة قاصدي مرباح، ورقة، 2010-2011، ص 09.

2- سعد البازغي: الاختلاف الثقافي وثقافة الاختلاف، المركز الثقافي العربي، ط1، الدار البيضاء، 2008، ص 34.

3- سمير الخليل: دليل مصطلحات الدراسات الثقافية والنقد الثقافي، دار الكتب العلمية، دط، لبنان،1971، ص 09.

4- ماجدة حمود: إشكالية الأنا والآخر (نماذج روائية عربية)، عالم المعرفة دط، الكويت،2013، ص 17.

نعود مع "البازغي" لنجده في كتاب مغاير يُفصل هذا المفهوم على أنه "حضور يحتد فيه شعور الذات بذاتها وتزداد رغبتها بالإكتمال عبر الإمتزاج به أو بما يرمز إليه"[1]

فبواسطة "الآخر" يبزغ "الأنا" من خلال حضوره القوي ولا يتوانى عن التلاحم معه فلا يكبح رغبته في الإكتمال بوجوده قد يرتبط "الآخر" بمفاهيم مشابهة متصلة خصوصا في النقد الأدبي الفكري: (الأنا- الثقافة- الاستشراق- المركز- الهامش- الأقليات- الهوية ..) فالآخر "فرد أو جماعة لا يمكن تحديدهم إلا في ضوء مرجع هو "الأنا، فإذا حددنا هوية "الأنا" كان "الآخر" فردًا أو جماعة يحكم علاقته بالأنا عامل التمايز وهو تمايز إطار الهوية أحيانا والإجراء في أحيان أخرى"[2] إذن "الآخر" و"الأنا" لازمان لوجود بعضهما، فلابد من توفير فروقات وشروط الاختلاف لفصل هذا الكيان عن بعضه، فكلاهما مرجع يحدد غيره ويُحيل إليه، حتى عند تبادر صورة "الآخر" إلى الأذهان لاإراديا يتشكل مفهوم "الأنا" تباعًا.

ج -اجتماعيا:

الدراسات الإجتماعية أخذت مصطلح "الآخر" كمفهوم مُعرّف للعلاقات الإنسانية، فيقول شاكر عبد الحميد: "الآخر قد يكون أحد الأفراد وقد يكون جماعة من الجماعات أو أمة من الأمم، فالآخر قد يكون قريبا، وقد يكون بعيدا، وقد يكون صديقا وقد يكون عدوًا، وقد يكون عدوًا نفكر في أنسب الوسائل للتعامل معه"[3]

فقوله هنا أعطانا مجموع من التصنيفات التي يتخذها "الآخر" فإما صديقا أو عدوًا، قريبا أو بعيدًا .. فقد حدد نوع العلاقة التي يشكلها نسبة "للأنا" المقابلة له.

1- سعد البازغي: مقاربة الآخر مقارنات أدبية، دار الشروق، ط1، مصر، 1999، ص 12.

2- طارق زياد محمد: تعدد مفهوم الآخرين في الدراسات الثقافية، قضايا الأدب، جامعة البويرة، مج5، ع2، 2020، ص 235.

3- عمرو عبد العلي علام: الأنا والآخر (الشخصية العربية والشخصية الإسرائيلية في الفكر الإسرائلي المعاصر) نقلا عن (شاكر عبد الحميد/ الذات والآخر في عملية الإبداع)، دار العلوم، ط1، مصر، 2005، ص 12.

كذلك يكون متعلقا بالصفات المجتمعية فهو: "عبارة عن مركب من السمات الاجتماعية والنفسية والفكرية والسلوكية التي ينسبها فرد أو جماعة ما إلى الآخرين" [1] حيث أن هذه التركيبة من السمات المختلفة تُعطى من فرد إلى آخر.

كما أنه "يروغ من شعورنا وتعرفنا، وهو ما يمكن عن ثقافتنا وجماعتنا، فهو اللاذات واللانحن"[2] أي: أن "الآخر" يأتي كتنفيس عن شعور ما ويولد منه كتعريف عن ثقافة ما معاكسة لثقافة وجماعة الذات.

الآخر من المنظور الاجتماعي له صلة وطيدة وعلاقة متشابكة الخيوط مع "الأنا"

1- المصدر نفسه، ص12.

2- محمد رضا زائري: الذات والغير بين المفهوم الكلي والمفاهيم الفرعية، الاستغراب، دط، دب، 2018، ص 350.

ثالثا: العلاقة بين الأنا والآخر:

ثنائية "الأنا والآخر" أخذت حيزا كبيرا في جُل الدراسات بمختلف أنواعها حيث حاول الكثير من الباحثين التعرف على طبيعة العلاقة بينهما وما تثيره من إشكاليات عدة فالحياة الاجتماعية تؤدي إلى تشكل ونشوء "الأنا" مصاحبا "للآخر"، مما يجعل الطرفان في علاقة لا يمكن طمسها أو إنكارها فهما أساسيان لازمان لوجود بعضهما من أجل التفاعل والتطوير وتحقيق التوازن في المجتمع "فالآخر حتمي للذات كما هي حتمية له، فقطب (الذات/الأنا) لا يستطيع أن يعيش إلا في علاقته بقط (الآخر/الغير)، حقا إن المرء يولد بمفرده لكنه لا يحيا إلا مع الآخرين وللآخرين وبالآخرين"[1] فهما منفصلان متصلان في الآن نفسه، فطبيعة الحياة البشرية تتكون بالآخر لا دونه، الربط وثيق متين ويمكن القول أن الآخر عنصر مركزي أساسي في تكوين الذات البشرية.

هناك أوجه لعلاقة "الأنا والآخر" فنجد علاقة التداخل والتعارف والاتصال، وليس هناك دليل أبلغ من قوله تعالى "يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ" [2]

فالقصد أن الله عز وجل يأمرنا بإنشاء العلاقات والتلاحم فيما بيننا نظرًا لما يعود بالمنفعة لوحدة الجنس البشري فأبطل كل الموانع سواء عرقية لونية، جغرافية لإقامة العلاقة بين هذه الثنائية.

1- فاضل أحمد القمود: جدلية الذات والآخر في الشعر الأموي دراسة نصية، دار غيداء، ط1، عمان، 2012، ص33..

2- سورة الحجرات: الآية 13.

في الحياة عمومًا نجد عديد الثنائيات، كالحياة والموت، الشرق والغرب، الذكورة والأنوثة "فالعلاقة بينهما هي علاقة تلازم كما أن استخدام أحدهما يتطلب ويستدعي استخدام الثاني فصورتنا عن ذاتنا لا تتم بمعزل عن صورة الآخر، لذلك لا أنا دون الآخر"[1]

تتشكل طبيعة العلاقة كل مرة حسب اختلاف الأشكال والأمزجة والظروف والأحداث فالأساس أنها علاقة اختلاف وتعارض قائمة دائما على الحركة فـــ"تبعًا لاختلاف الأشكال، فإذا كان الآخر استعمار والأنا مستعمر فإن العلاقة بينهما هي علاقة وعداء، كما قد تربط ذلك الأخر بالأنا علاقة صداقة وتسامح أو علاقة تبادل المصالح"[2]

فالعلاقات الاجتماعية أساسها التغاير وفقا للمصالح الذاتية والاعتبارات الخاصة، وخير مثال على ذلك علاقة الشرق والغرب فالشرق – **العرب**– دائما يتطلع للإنجازات الغربية بسلبياتها وإيجابياتها، فأحيانا يحاول التماشي مع هذا الآخر والأخذ منه ليُسمى تبادل مصالح رغم أن الشرق يرفض بعض معتقدات الغرب ويراها غير لائقة به، وأحيانا أخرى تكون معقدة عدوانية فإما غالب أو مغلوب وتبنى العلاقة على هذا الشكل المتوتر، خصوصًا أن الشرق "الأنا" لم ولن يُعزل يوما عن العالم خاصة الغرب "الآخر" "فالتاريخ يقودنا إلى الكثير من مظاهر التعامل بينهما، منذ أن شعر الإنسان بضرورة الاتصال بغيره من الشعوب"[3]

1– عيسى الطهراوي ود. محمد مشعالة: صورة الآخر في الرواية الجزائرية الفرانكونية، مجلة الآداب والعلوم الإنسانية، ع17، كلية اللغة والأدب العربي، جامعة باتنة، ط1، ص

2– حمزة وشان: صورة الآخر في أدب ألبير كامو وجون بول سارتر، رسالة ماجستير، جامعة حسيبة بن بوعلي، 2014-2015، ص 15.

3– سالم المعوش: صورة الغرب في الرواية العربية، مؤسسة الرحاب الحديثة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط1، 1998، ص15.

إذن هي علاقة مترابطة متناقضة في نفس الوقت فالأنا له تصورات كثيرة تتداخل مع مواقف الآخر: "حين تدرك الذات شيئا ما، فإنها لا تستطيع ان تحيط به في كلية إلا من خلال الآخرين.."[1]

فهذه العلاقة الوجودية بينهما —لا استغناء عن أحدهما- لا تزرع في عقولنا إلا بعض التساؤلات حول كيفية التعايش بين الأنا والآخر !؟

فبالتالي نتبين أن على "الأنا" تقبل واحترام "الآخر" وعدم إنكار فائدته للذات وتطورها الذي لا يتم من خلال التفاعل مع "الآخر" مهما كان نوع هذه العلاقة.

لذا يمكننا مما سَبَقَ قوله أن نخلص إلى مجموعة متباينة من العلاقات بين "الأنا" و "الآخر":

3 - علاقة شرطية إلزامية.

4 - علاقة صراع وصدام

5 - علاقة تعارف وتقارب

6 - علاقة نفعية تقوم على مصالح متبادلة.

7 - علاقة صداقة وتسامح

8 - علاقة جدلية متناقضة.

فهي متغيرة غير ثابتة حسب مواقف "الأنا" من "الآخر" وطريقة تصويره ورؤيتها له، ورغم تعدد أنواعها إلا أن كلها تصب في مصب واحد؛ هي أساسية في الحياة الاجتماعية ولا غنى عنها، فـــ"الأنا" تشكل هويتنا الفردية وتشابكها وتعارضها مع "الآخر" يسهم في تنوع تجاربنا وإظهار ذوات شخصية مستترة كما يكسبنا خبرات مختلفة، فالعلاقة بين "الأنا" و "الآخر" تؤثر على الطرفين سواء كانت صدامية أو نفعية، كما تعزز الفهم لوجهات نظر الآخرين.

هذه الثنائية لازمة الوجود مهما كان نوعها فهي محور رئيسي مركزي يقوم عليه المجتمع.

1- حسن شحاتة: الذات والآخرين الشرق والغرب صورة ودلالات وإشكاليات، دار العالم العربي، ط1، مصر، 2007، ص 20.

الفصل الثاني:

رواية السيرة الذاتية بين الأنا والآخر سيرة المنتهى ..عشتها كما اشتهتني واسيني الأعرج نموذجا

1 - تمظهرات الأنا في الرواية

2 - الأنا المضمرة

3 - الأنا في مواجهة راويها

4 - تمظهرات الآخر في الرواية

1/ تمظهرات الأنا في الرواية:

تعددت صور " الأنا " في الرواية السيرية قيد التطبيق فظهرت بأحوال وتمظهرات مختلفة حسب تنوع الشخصيات داخل النص الروائي .

لم تطغ شخصية الروائي الذاتية بل استخدمت كمرجع في عديد الأحيان، فقد توزعت سيرة حياة المؤلف على شخصياته الروائية كل شخصية تحمل جانبا أو ملمحًا من حياته.

يبدأ الراوي: الأنا " واسيني" بالكشف عن حلمه الذي أوصله إلى رؤية معراج شيخه " محي الدين ابن عربي " إلى السماء، لتبرز أناه الصوفية معانقة عوالم " ابن العربي " من خلال الرحلة، عند التطرق إلى مصطلح الصوفية تتساءل عن مفهومه : التصوف له تعريفات عدة باعتبار حالة ذاتية وجدانية تخص الفرد بصدقه وأدبه وإخلاصه في توحيد الله عزّ وجل فهو " التجرد تماما من مناهج الدنيا ومفاتنها ومحاولة التخلص من الجسد، ذلك الحجاب الكثيف الذي يحول دون التمتع بالنور الإلهي الفياض على الكون والفناء في الذات العليا "[1]

واسيني في قوله "نام كتاب المعراج على صدري وغرقت في سكينة التيه بلا هدى ولا نجم ..."[2] يعبر عن الحالة التي تمكنت منه، فقد كان بين الحياة والموت –النوم موت الصغرى– يواصل السارد متماهيا مع شيخه " يتأملني كأني براني للمرة الأولى... لم اعد أرى إلا نورا خفيا تسرب من المياة... رعشة الفناء اعترت أعماقي اصطفاني نحو معراجه الخفي"[3]

هذه الكلمات [يتأملني، نورا، السماء، الفناء، اصطفاني] كلها مفردات صوفية عن حالة التصوف التي لحقت بالذات "واسيني" ما فعله مع الأخر "الشيخ ابن عربي" في هذه الرحلة بغية الوصول إلى مسالك النور، ثم تتلبس "واسيني" حالة من الغرابة والدهشة.

1- كامل المهندس ومجدي وهيبة: معجم المصطلحات في اللغة والأدب، 2، مكتبة لبنان، بيروت، 1984، ص 228.

2- المدونة: واسيني الأعرج، سيرة المنتهى... عشتها كما اشتهتني، منشورات بغداد، الجزائر، ط1، 2014، ص18

3- المصدر نفسه، ص 18-19.

يستمر الكاتب في الغوص ضمن العوالم الصوفية فيخاف الحسرة التي ستلحقه إن خيّب ثقة سيده "أكبر هزيمة للذات، هي أن تخسر من تحب وتعشق ..." [1] فالعشق مرتبة من مراتب التصوف، تواصل "الأنا" رحلتها المتخيلة الصوفية " لا سماء- لا أرض- لا خوف- لا موت- لا حياة- لا أنا ..."[2]

كلها ذات دلالات وإشارات واضحة عن مدى تماهيه مع هذه الحالة ومع الآخر على حد سواء، يتابع "واسيني" عن الحالة التي تواجد فيها: "... رأيت المنشدين في شكل دوائر، الدائرة الأولى منهم كانت مكونة من رجال على رؤوسهم قبعات خضراء يرتديها الصوفيون عادة وهم في حالة رقص صعودًا ونزولاً...."[3] وهذا يصف لنا الحلقة الصوفية.

كانت الأنا " واسيني" في رهبة الأحداث من الحالة الصوفية التي تلبسته أو الموت الذي أدركه فجأة فوق جبل النار " تيغروا" ، فينتهي لقاءه مع شيخه "مشى سيدي السالك في بهو النور الطويل وقتا لا أدري هل طال أم قصر، ربت على كتفي ثم هتف في أذني.. واسيني يا ابني، قلبك كبير وخاطرك واسع، أمامك مسالك الأنوار الكثيفة التي تعمي الأبصار بقوة أعبرها بلا تردد.. امش يا بني ولا تلتفت وراءك ثم.. انطفأ فجأة متماهيا في النور الذي كان يغرق كل شيء في بياضه، وغابت معه كل المسالك " [4] الأنا الصوفية أخذت حيزا واسعا من الرواية على تعدد أشكالها، فكانت هذه النقلة بالنسبة له، واسيني إتخذ جده "الروخو" كجسر، الحالة الصوفية كانت طريقة للخروج عن المألوف، طابع جديد على الرواية السيرية، حيث يشق "واسيني " عالما مملوءً بالعجائب والروحانيات، هذه اللغة الموظفة داخل النص واندماجه معها،

1- الرواية (مصدر سابق)، ص 19.
2- المصدر نفسه، ص 20.
3- المصدر نفسه، ص 20.
4- المصدر نفسه، ص 25-26

أكسبتها إبداعا فنيا خاصًا فالمفاهيم الموظفة في "سيرة المنتهى" حملت أبعادًا ودلالات جمالية فلسفية دينية.

الأنا " واسيني" استخدم حكاية " الجد روخو" كمرجع له فيذكر الأندلس الضائع عبر التاريخ ويتحسر عليها، فكما كان للصوفية حيز كبير في هذه الرواية لم يقِّل التاريخ أهمية وتأثيرًا عنها، فالتاريخ والسيرة الذاتية جسمان أدبيان عادة ما يقترنان بينهما، فكلاهما يسجل الأحداث الواقعية على طول الزمن فالعلاقة بينهما متأصلة وطيدة.

فيقول إحسان عباس "كلما كانت السيرة تعرض للفرد في نطاق المجتمع، وأعماله متصلة بالأحداث العامة أو منعكسة منها، أو متأثرة بها فإن السيرة تحقق غاية تاريخية " [1]، الذات "واسيني" إستنبط من ذاكرة التاريخ فيستعرض لنا مدينة وأناشا من خلال شضاياهم المبعثرة فيذكر الأندلس الضائع بمشهد الروخو وهو يحضر حفيدة لاستعادة الماضي ورؤيتها "سترى .. مشهدا لمدينة واسعة تعج بالبشر والدواب والأضواء .. ستعرفها من صوامعها وضبابها وكنائسها..."

لن تحتاج لا إلى عقلك ولا حتى عينيك ولكن فقط إلى قلبك "[2]

القلب كان شاهدا على تاريخ المدينة ضياعها كان علقما في أفواه العرب، واسترجاع الكاتب الأنا لهذه الذاكرة ما هو إلا خيبة وشعور بالحنين والفقد

يستمر السرد في الغوص في الماضي وتفكيكه مما يؤدي إلى توضيح ملامح السيرة الذاتية كما تتابع الحوار بين الأنا والأخر حول تاريخ المدينة "فجأة رأيت أناسا بلا عدد يمشون" كأنهم كانوا هاربين من حروب قاتلة.. رأيت أخيرا الصوامع ورؤوس الكنائس... مدينة جميلة وأكاد اعرفها.. أرها باجدي وأسمع نداءات خفية في شكل كورس جنائزي...ربما كانت غرناطة أيام

1- إحسان عباس : فن السيرة، دار صادر بيروت، ط 1 ، 1996، ص 132

2- الرواية (مصدر سابق)، ص 45

سقوطها..."[1] يبدأ الراوي في تعرية تاريخ ضحاياه غرناطة والمورسكين الأندلسين، الصورة الجنائزية، التي رواها واسيني كانت مليئة بالحزن والدم ودمار شامل، ثم نرى الجدل الضائع بين القلب والعقل وتنقلب الصورة فالأنا واسيني عقلاني الذي وجد أنه لم يكن ضروريا إقامة حرب لأجل أرض ليست لهم بينما الأخر الروخو كان وجدانه ملتاعا لفقد شوّه فؤاده فيروي حياته لحفيده عبر تاريخ غابر تسرده الرواية "هي عينها يا ابني، المدينة التي سرقت منها الشهادة، هناك مدن محضوضة تمنح ناسها الذين كستهم.. فرصة أن يدافعوا عنها باستماتة..وهنالك مدن يسرق منها كل شيء وتقدم مجردة من أي شرف"[2]

"جدي الحبيب، حكت لي حنا فاطنة كثيرا عنك وأنك تعذبت كثيرا كنت فقط محملا بتاريخ حزين... فبنيت كل شيء من الفراغ بعدما سرق منك الكاثوليك... كل شيء.." [3] الحوار القادم والمتواصل بين الأنا والأخر يستحضر فيه الكاتب واسيني الجدة حنا فاطنة ويوكلها مهمة سرد عذاب الروخو جاعلا منها أيقونة تاريخية ثم نرى صراع الأفكار وتناقضها بين الأنا والأخر الجد وحفيده. "....كانت حربنا الأخيرة، حرب البائسين، ولكننا خضناها لأنه لم يكن لنا أي خيار أخر، لقد سرقوا منا أرضا حفرناها من الرماد....

- يا جدي، لم تكن أرضكم، دخلتموها غازين كغيركم
- لم تكن أرضنا صحيح، ولكن أجدادي هم من غرس يباسها وأثث فراغها.. كان على جيلي أن يخوض هذه الحرب الخاسرة ولكنها عادلة..."[4]

" ..أعرف أن كل شيء سيعود إلى ذويه طال الزمن أو قصر "[5]

1- الرواية (مصدر سابق)، ص 46.
2- المصدر نفسه، ص 25-26
3- المصدر نفسه، ص 47.
4- المصدر نفسه، ص 48
5- المصدر نفسه، ص 48

الأخر الروخو في هذا المقطع يوجه ضربة للمؤرخين وينقدهم بشكل صريح، مبينا أن الأندلس أصلها يعود لنا، فيحاكم التاريخ بصراحة بينها الأنا وسيني يتكلم عن أصل الأرض ولمن يعود وصل العرب ذو أحقية بالأندلس؟ !

الأنا المتألم والحزين " الروخو " يستخدم ذات الكاتب كمرجع لرواية على غرناطة ووجعه على نفسه لأنه ولد في زمن كهذا.

" ضننت أن الدنيا استقرت على غالب ومغلوب وإنتهى الأمر ذات صباح بلا فجر ولا نور.. وجدت المكتبة قد تحولت إلى رماد، لم أبك حرق الكتب ولا المخطوطات بل بكيت الصدفة التي جعلتني أولد في زمن لم يكن لي، حسدت ولادة وابن زيدون... حسدت كل من ولدوا تحت الشمس وفي حدائق النعيم"[1]

قلب الجد كان داميا متألما، أناه كانت حاسدة لكل من لم يشهد فترة الجحيم تلك وسقوط الأندلس الحبيبة، خدم التاريخ السيرة الذاتية من خلال تحليل وطرح مواضيع ماضية مما أدى لتعرفنا على الحياة واسيني أكثر وفهم العلاقة بين والأخر، فقد استخدم الأنا الروائية الرئيسية "الروخو" كشخصية مرجعية شكلت تاريخ الأندلس، فقام بتوظيف هذه الأنا لسرد ما في غرناطة وتبعات سقوطها.

الأنا المتسامح والمتقبل الأخر نرصد منه الصورة الأولى حيث الأنا "الجد" أظهر تقبلا للأخر اليهودي "نينوت ومات" ومع الاختلافات الثقافية شبهما طالما لا أذى منها "جاءنا على قريتنا من جبال الناضور البربرية، كانتا عند جدي الذي وضع تحت تصرفهما بيتا وأغطية وحبا "[2]

فالأنا "الجد" استقبلهما بكل ودٍ ورحابة صدر، الدين لم يشكل عائقا، وتضارب أفكارهم وإيديولوجيتهم لم يقف حائلا بينهما "لم يسألهما أبدا عن دينهما ولا حتى وجهتهما النهائية،

1- المصدر نفسه، ص55.

2- المصدر نفسه، ص20.

كان يعرف فقط أن المجاعة هي التي رمتهما"[1] وعلى الصعيد المعاكس نجد تمظهرًا جديدًا للأنا : الأنا القاسي، الرافض للأخر مما سلط الضوء على قضية القتل والإرهاب الجارية أنذاك.

فأبناء العمومة الأنا أعلنوا رفضهم الصحيح لهوية الأخر وعدم تقبل العيش بينهم "وجدت نينوت مرمية في المنحدر، نصف جسدها تحلل والنصف الأخر أكلته الضواري..لا احد عرف سر موتها..يوم كبرت تساءلت.. جاءني الرد جافا من أبناء عمومتي شوف قدامك وأسكت يكفي أن جدك أرتكب حماقة دينية...حولنا إلى عرة الناس، وعلينا تصحيحها وإرجاع الأمور إلى نصابها"[2]

تصريح واضح دل على العنف والإرهاب تحت راية الدين وتغيب الأخر وهذين المشهدين حققا تناقضا طرح إشكالية تقبل أو نكران القيم وتدهورها، فالجد مثل الذات المعتدلة المتلائمة مع الفطرة الإنسانية بينما أبناء العم عبّروا عن الأنا الإرهابي الرافض مما يجعله لا يتواءم مع الطبعة السوية.

الأنا بين ذكريات الماضي ومنعرجات الحاضر: الذكريات لا يمكن استئصالها من أعماق الإنسان، فهي الرابط الزمني بماضي لا يمكن اختلافه مهما كان نوعه في مرحلة ما يلتقي واسيني عائلته داخل البيت الزجاجي متعدد الأبواب على طاولة العشاء: ميما أميزار أن أخته زوليخة، أبيه أحمد، الأخ عزيز كلهم تجسدوا له في هذه الرحلة واجه الأنا واسيني ألم فقده أخيه "العملية لم تنجح..لم يستيقظ عزيز من المخدر أبدًا، من الغفوة الصغرى إلى الغفوة الأبدية.." [3] حزن واسيني على أخيه فاق أفكاره و لم يكن هناك متنفسه له يبث فيه ألامه غير الكتابة فكتب عنه حرقة "..حبيبي المستعصي على الفهم هل كان من الضروري أن تمنحني رغبة الكتابة مقابل

1- المصدر نفسه، ص20.

2- المصدر نفسه، ص20-21.

3- المصدر نفسه، ص 116

موتك..منذ ست سنوات لم أرك كما أشتهي و لم ترني لتخبرني بأن البلاد تغيرت.." [1] كتب واسيني عن اشتياقه لأخيه حتى عند حياته وكيف أن الغربة أخذت منهما سنين اللقاء والعناق، نعا واسيني أمواته وكم أخذ منه الموت، الأنا كانت محاصرة بين سطور الماضي حكى عن أن عزيز لم يقابل والدهم أبدا "كان الوالد قد احترق قبل مجيئك بشهور مع المواكب الأولى"[2]

يتواصل شوق الأنا إلى ماضٍ هو على يقين بإنعدام فرص عودته، مع ذلك لم تمحي اللغة القائمة التي كتب بها قساوة ماضٍ عايشه.

ينقلنا الكاتب إلى الأنا واسيني والآخر الأم التي سرد من خلالها بعضًا من ملامح طفولته.

ميما أميزار كان واسيني فخورًا بأنه "كانت بحرًا من الخير، ومطرًا من المحبة، وشلالا من الحب..."[3] مشتاقا لها "توحشتك يا ميما، مكانك ظل فارغا"[4]

الأم كانت رمز القوة والعزة بالنسبة لواسيني حكت له في مخياله عن كيف ارتقت نحو الثور وكيف أخذها الموت و لم يرهقها "..لم أتعب و لم يرهقني مسار الرحلة..رأيت طريقًا طويلاً فسلكت ونورا حادًا تماهيت فيه..." [5] وفي المقابل كان الوجع من نصيب ذات واسيني من فقدانها هي الأخرى تباعا، تحكي الأم آلامها المعاشة وتفردها واحدة بعد أخرى كأوراق اللعب، روت أناها المتشبعة بالألم الذي بدأ بخسارتها ابنها الأول "منحتي الله محمد الذي تراه بين يدي، لكنه انتزعه مني قبل أن يتم دورة السنة الأولى.." [6] كيف أصبحت بعدها أم البنات

1- المصدر نفسه، ص 117
2- المصدر نفسه، ص 108
3- المصدر نفسه، ص 113
4- المصدر نفسه، ص 112
5- المصدر نفسه، ص 114
6- المصدر نفسه، ص 115

ومضغوها في أفواههم وكأنها ذنب وخطيئة لا تغتفر "لأصبح أم البنات.. مضغة على لسان نساء أعمامك"[1]

طفولة واسيني مملوءة بتضحيات ميما اميزار خصوصا عند تبنيها لدور الأب كذلك نظرا لغيابه في باريس لم تعاتب الأم اميزار الأب احمد حتى في خيانته بل وجدت له الأعذار، ربما لامته فقط على عدم وجوده معهم ووحدتهم دونه "هو كان مرتاحا في باريس ونحن كنا وحيدين، لم يقصر في أي شيء إلا أن سيكون معنا"[2]

حكت والدة أميزار عن أنا والده احمد العاشقة لميا الفرنسية ".. كانت صديقته وحبيبته ومعلمته وكانت أيضا زوجته وأم أولاده وابنة عمه.. يقولون أنها كانت جميلة وعاشقة.. وأبوك.. كان معشوقا، لهذا عذرتها وعذرته.."[3] رغم كل الأعذار التي قدمتها له وعدم تذنيبها له مما اقترفه بحقها إلا أنها إمرأة وهكذا شعور قاتل وجارح حتى وإن لم تعترف إلا أن غصتها كانت واضحة، واسيني كان مكتظا بصفحات الماضي وهذا العشاء الأخير كان ذو أثر بالغ في الأنا (الشخصية) والأخر (الأسرة) فرائحة الموت كانت تحيط بثناياه وتلفه من كل النواحي.

تواصل الأنا المشتاقة "واسيني" في الرواية ظهورها فتتعدد صورها وتحكي هذه المرة عن فداحة فقدها واستباقه لها "كانت قريبة مني كأنفاسي، كنت أتلمسها بعيني وأتحسس كل ملامحها الطفولية التي بقيت كما رأيتها في آخر مرة قبل أن تمرض المرض الذي سرقها.. عنصر في سوف لا يقاوم نحوها.."[4]

1- المصدر نفسه، ص 115
2- المصدر نفسه، ص 116
3- المصدر نفسه، ص 117
4- المصدر نفسه، ص 124

ذات واسيني كانت واضحة غير مضمرة في هذا المقطع، فشوقه لزوليخا ألمه وقطّع نياط قلبه، تمنى لو ظل طفلها المدلل، حنينه أبكاه عند السماح له باحتضانه "ضممتها بقوة إلى صدري وبكيت..كنت أحس بحرارة جسمها الحي..."[1]

تسطع الأنا زوليخة المتألمة والخائفة من مصير كان يلاحقها كذئب جائع، حكت لأخيها عن خوفها أنذاك من أن ما حصل مع أبيها وابنة عمتها زهرة قد يعاد معها بأكثر الطرق وحشية "ذات زوليخة" كانت تعاني: "في أعماقي كنت داخل طاحونة من الخوف، بابا أحمد سرقوا منه روحه بقسوة...قصة زهرة أرعبتني وهي لم تفعل شيئا، بينما أنا فكرت في الهرب مع إبراهيما..."[2]

الخوف شعور لطالما عاش مصاحبا للإنسان لا يتركه ولا يتخلى عنه وهكذا عاشت زوليخا قصة حبها التي لم تتوج بالنجاح، كانت دائما في ترقب لما سيحصل وعن كيف رفض المجتمع هذا الأخر الحبيب بالنسبة لها "إبراهيما المسكين لم يكن لي و لم أكن له.. لأجله الذي صفعوني به للوجه، كان لونه أول مبرر للرفض... "[3]

العائق الذي سرده واسيني بين الأنا "زوليخا" والأخر "إبراهيما الحبيب" الذي عايش رفضا ونكران من مجتمعنا بنسبة لأمور عنصرية، كاللون.. وأخرى قد تكون واقعية كشك أن يكون دم والدها على يده "... هل كان هو قادرًا على الهرب من جيش هو نفسه الذي قتل لاحقا والدي؟ انكمش قلبي عندما شعرت أن في اليد التي كانت... تحبيني.. دم بابا أحمد ..."[4]

فهذه العلاقة كانت مبنية على فشل منذ بدايتها، راحت ضحيتها زوليخا بعمر 17 عامًا بقلب متحسر مكلوم.

1- المصدر نفسه، ص 120

2- المصدر نفسه، ص 122

3- المصدر نفسه، ص 121

4- المصدر نفسه، ص 121

تتجلى لنا ذات الأم من خلال السرد وكم رآها واسيني مضحية، إمرأة قوية جابهت كل الصعاب لأجل فلذة كبدها... عن ألمها المحكي والمخبأ بين كلماتها، ألم الخيانة الذي لم تعترف به ربما حتى لنفسها، بل وأعطته أعذارًا واهية: "لم أعثر مع والدك خيرا ولكني كنت أفهمه جيدًا..لم يكن يعلم أني كنت أعرفه قصته بالتفاصيل... من رفيقة إلى حبيبة...مع أن أمي كانت تجد له كل أعذار الدنيا: واش تحب يا وليدي؟ رجل وما يصبرش، ثم هي إمرأة حيلية وجميلة.."[1]

التحولات التي تطرأ على ذات أميزار مختلفة من امرأة بقلب مسّه نصل الخيانة وحزن على خسارة زوجها وأب أولادها إلى امرأة قوية محاربة "ركضت ميما أميزار في كل الاتجاهات من البلدية إلى المدارس، بحث عن عمل بيت العائلة...عاملة تنظيف مراحيض المدرسة..اشتغلت في الحماية أرض الأجداد...خرجت للعمل في مزارع الغير...لتحتل مكانة أب مشرق" [2] لأنا أميزار من متألمة كان لها إسقاطات متعددة: ذات متألمة أخرى حزينة مساقة، الأنا المضحية كلها تجسدت في امرأة واحدة.

الأنا بين الماضي والحاضر لها تشابكات وتشعبات كثيرة تظهر خلال سيرته المروية، واسيني في معراجه المتخيل التقى بجميع أفراد أسرته من كبيرهم إلى صغيرهم، عاش معهم فترات سابقة وأخرى أنتجها... أعطى لحكاياتهم بعدًا آخر، أصغى لكواليسهم وما حصل لهم خلف الستائر.. كلها مواقف أقامت لنا مختلف العلاقات بين الأنا والأخر، خصوصا شخصية حنا فطنة التي قال عنها "..كانت قريبة مني لدرجة التمامي معها، كانت سيدة الحكاية.. حنا فاطنة معلمي الأول في الحكاية..."[3]

1- المصدر نفسه، ص 124
2- المصدر نفسه، ص 154-155
3- المصدر نفسه، ص 166

وكأن " الأنا" و "واسيني" مجّد الآخر "حنا فاطنة" وجعلها كشخص منهم شكل جزء من ذاته من خلال حكاياتها ونصائحها له، الأنا المعجب والمبهور بالآخر: حنا فاطنة كانت شخصية مميزة لواسيني حتى في وصفها بالغ " كانت حنا عبارة عن حفنة من النور الجميل... كانت لديها حكمة عالية وكبيرة.. كل ما يحيط بها له قيمة ومعنى، الوجوه، الأصوات، المطر، الخوف، الحياة، النور، الفرشات، الثعابين، العواصف "[1]

وكأن ذات واسيني شغوفة بحناه، تطلع لها بإنبهار وإعتزاز لحكاياتها التي تأسره وتثريه وأكثر ما جذبة تلك التي عن جده المورسيكي سيدي علي برمضان إلكوخو الملقب بالروخو، حنا فاطنة كانت بالنسبة لذات واسيني أساس قامت عليه طفولته ومعراجه في حلمه.

يواصل "واسيني" رحلته مع الشخصيات الأنثوية ويعرض لنا هذه المرة "مينا" المأوى الآخر نسبة لذاته، حلقة الوصل بين واقعه وحلمه الخيالي، في مواقف كثيرة ظهرت الأنا العاشقة واسيني الذي كانت مينا صاحبة الشعر الأحمر حبيبة صباه، الحبيبة التي فقدها مبكرًا و لم يشبع منها. مينا كانت ذاك الآخر المفقود، الحلم الذي طالما تمنى استمراره.. كان مشتاقا لها لذا عندما إلتقاها مرة أخرى وضنها ملاكا لم يستطيع المقاومة. مينا الذي اكتشف واسيني أنها صاحبة اليد التي عهد به الروخو عنده، صاحبة العطر الذي شمه وتذكرته حواسه، مينا صاحبة الشعر الأحمر فتاة القبل المسروقة "مينا لم تكن امرأتي الأولى فقط.. كانت معلمي في الحياة...مينا امرأتي التي أحببتها في مراهقتي ..كنت أحبها فقط وأعتقد أني لم أنساها في أي يوم، كانت تحبني بنفس قدر الدرجة..."[2]

استحضر واسيني ذات مينا كتأكيد على الذات المستقلة، حرة.. شوهها المجتمع الذكوري حسب نظرة الأنا واسيني، مينا كانت الملاك الحاضن له، ملجأ لعزلته، يحتمي فيها عن وجوده

1- المصدر نفسه، ص167

2- المصدر نفسه، ص 310

الواقعي "كانت مينا مشرقة كحلم، تتراقص في عينيها الطلال ورذات مساقط المياه..مستكينة..لم تكن مينا حلما، كانت يقينا.." [1] مينا لم تكن فقط معشوقة واسيني بل مرشدة في تلك المسار كانت "صوتي الخفي في ظلمات العالم العلوي، وأنواره المعمية للأبصار، لم يكن الروخو مخطأ عندما وضعها بين يدي..."[2]

الأنا والأخر في هذا السياق إختلفت أوجه علاقتهما من عشق وتألم، فقد ونكران... ذات واسيني تأرجحت في العالم العلوي الذي صعد إليه.

تطوح بنا الراوية إلى الجزء الخامس، وما قبله وتأتينا بذات أخرى "ميغيل دي سرفانتس" وروايته "دون كيشوت" بكل تأثيراتها عليه، واسيني كانت سعادته عارمة عندما إلتقى به فهو يرى شبها بينهما، كان الأنا "واسيني" ينظر للأخر "سرفانتس" نظرة إجلال وإكبار ويراه نفس جده وصفاته "في فوضى الخوف وجد رجل كبير اسمه ميغيل دي سرفانتس، أو الرجل الأعسر الذي تتماهى صفاته في صفات جدي، حتى أني تبنيته في ما كتبته، دافع عن الدين شلت أيديهم..."[3]

منجز "سرفانتس" "السردي" "دون كيشوت" زج بواسيني في عالم روحاني خيالي نظرا لتشابهها مع سيرته هذه، واسيني طرح الأخر المثقف، الثوري، الأنا واسيني المعجب والمعتز بشخصية سرفانتس و"دون كيشوت"المتخيلة" كان دون كيشوت أفضل في عقله من الكثير من العارفين والمعلمين.."[4]

عند لقاء واسيني بسرفانتس حكى له ما مر به دفاعًا عن إسمه "بدأ معي هذا يا سيدي في وقت مبكر كنت في المدرسة الإبتدائية عندما جاءنا أستاذ اللغة الفرنسية، بعرض علينا مغامرات

1- المصدر نفسه ص 315
2- المصدر نفسه ، ص 149
3- المصدر نفسه ، ص 244
4- المصدر نفسه ، ص 365

الرجل المجنون.."[1] سرد عليه بدايات عشقه لكتاب "دون كيشوت" قص له سرفانتس الكثير، حملته في الجزائر، عن حروبه النفسية والحقيقية... الأنا واسيني أعتبر نفسه من سلالة سرفانتس متجاوزا كل العوائق بينهما : جنسيتهما، الثقافة، الدين... كل العراقيل لم تمثل شيئا في عينه فهنا يمثل لنا الأنا المتصالح مع الأخر المختلف بل والتماهي معه، عند يتحول الروائي واسيني إلى قارئ شغوف " بدون كيشوت " ، مما يؤدي إلى مشكل الذات القارئة وتأثرها بهذا الكتاب " ... كنت أرى شيئا من هذا المهبول الذي إسمه جون كيخوتي، متوغل في .. كنت أقوم بما يقوم به، فأرى في شكل صور أن يطلها تجاه كل ما كنت أقرأه."[2]

يحكي واسيني السحر الذي مارسه هذا المتخيل السردي عليه، وعن هذا البطل الحبري الذي علمه كيفية التصالح مع ذاته : " م أكن أمام دون كيشوت منكسرا أو عمق جنون، ولكن أمام رجل عظيم، إنتصر على حيرته، التي ملأت داخله وسجنته زمنا طويلا، منه تعلمت أن أسمع لا أحكم أن أتريث في شيء أسمعه من الألسن ولا أراه"[3]

" سرفانتس " امتلك شخصية الأخر التي ضبطت جزء كبيرا على الصعيد الإنساني والأدبي على حد سواء في ذاته واسيني فهو أعتبره مصدر إثرائه اللغوي : "... كنت بالفعل أشبه جدي الثاني، جدي اللغوي، دون كيخوتي، حبيبي ميغيل سرفانتس" [4] فالسيرة التي بين أيدينا مسرح إعتراف بجميله على الذات الساردة، فالأنا " واسيني " و الأخر " سرفانتس " حتى وأن لم يلتقيا، وعاشا في زمن مختلف وبعد لن يكون نفسه أبدا تضل علاقتهما مميزة حسب مخيال الروائي وحبه لهذه الشخصية التاريخية وما خطته من إبداع داخل عالم الأدب .

1- المصدر نفسه ، ص 126.
2- المصدر نفسه ، ص 236
3- المصدر نفسه ، ص 300.
4- المصدر نفسه ، ص 424.

في الجزء الأخير والسادس يحكي لنا "واسيني" خاتمة البدايات، وصوله إلى نهاية معراجه، فتظهر لنا الأنا في علوها، يصور الروائي ما ألت إليه رحلته "كنت اعرف تفاصيل الرحلة القادمة... رحلة المنتهى حيث تفقد الأشياء أشكالها..." [1] ويواصل قائلا : "أنا أتدحرج نحو الأعالي، سرعة الأنباء تتسامى من حولي وتكبر، تجردت من كل شيء... حتى أصبحت خفيفا مثل نسمة فجر...كل شيء إنتهى الآن....أصبحت فجأة..مجرد ذرة نور في مدار منفلت..." [2] الأنا واسيني كان متخيطا فيما يراه، متعجبا، إسترجع أحداث حياته وشخصياتها، '.. أصواتهم كلها التي كانت في، سكتت.. لقد إنطفأوا تباعا ميما، والدي، عزيز و زوليخا، حنا فاطنة والشيخ الأكبر، حبيبتي ميما، سرفانتس، ثم كلاهم أليينو وأخيرا سيدي السالك، رجل واحد ضل معي إلى أخر لحظة، جدي الروخو..."[3]

ذات واسيني شعرت بالحرية، بالعلو لحظة الوصول إلى المبتغى، عايش واسيني كل أنواع المشاعر، إلتقى مع كل إخوته : الحزينة، المتألمة، العاشقة، المغتربة، الصوفية، المشتاقة... رحلته بين الماضي والحاضر ومعراجه المتخيل انتهى لحظة فتحه لعيناه: "...كانت يداي ما تزلان نائمتين على كتاب الإسرا إلى مقام الأسرى.. لمولاي الشيخ... ابن العربي، في معراجه نحو متنة الاعتلاء، الذي اقتحم سدرة المنتهى.. كنت على نفس وضعي قبل انتقالي: و لم تحرك يقيني بالحياة والنور، أية ريح عاصفة "[4]

الأنا الواثقة، المتعالية.. واسيني وكأنه تجرد من كل الماديات، سطر الراوي ذاته بكتابة هذه السيرة وأفصح بالكثير من خلالها، الأمر الذي لم يكن سهلا، بهذه الرواية وضحت ملامح الأنا على تعدد إسقاطاتها وصورها .

1- المصدر نفسه ، ص 463

2- المصدر نفسه ، ص 467

3- المصدر نفسه ، ص 469

4- المصدر نفسه ، ص 469

2/ الأنا المضمرة:

برزت الأنا في هذه الرواية من خلال ما سردته لنا، وطرحت بتصورات عديدة وأوجه مختلفة منها الأنا المضمرة فالأنا " علامة مضمرة في توازنها، يبني أساس " الأنا " الأدبية داخل النص الأدبي، وتتجلى من خلال ثنائية الحضور والغياب في تعاقب يضمن تأسيس وحدة ضمائرية تربط العمل ربطا يتسق وبناءه الأدبي " [1] الأنا تمثل ذات الإنسان كضمير في نص أدبي إما غائبة مستترة تفهم من السياق أو حاضرة علنا.

يتبدى لنا الأنا المضمرة في "سيرة المنتهى" من خلال عديد المواقف والأجزاء، ومن انعكاسات هذه الفكرة: " أصبحت خفيفا مثل نسمة فجر.. عاشقا مثل قبلة مسروقة، مجنونا مثل عاصفة القلب من شدة الغيرة..."[2]

فرغم غياب "الأنا" وعدم التصريح بها إلا أن المتلقي ومن خلال سياق الحديث يفهم الحالة الشعورية التي تمكن في نفس واسيني.

"أحاول أن أمد يدي.. أغمض عيني في هدأت الأنفاس.. ابتعدت عنها.. وجدتها أمامي.. يتنامى إلي نشيد عبراني قديم... "[3]

هذا المقطع السردي انتشرت فيه " الأنا " لفظا وتبينت في المعنى، فالمشهد يصور الحالة الصوفية التي كان واسيني غارقا فيها.

نجد مقاطع كثيرة كانت الأنا مضمرة وعلى سبيل ذلك نذكر : " لم تنغلق حواسي لا على خوفها ولا على مبهمها... وصلتني إرتعاشات التراتيل القرآنية .. "[4]

1- رضوان جنيدي : جماليات الأنا في الشعر المغربي القديم، دار الأيام، ط1 ،عمان، 2015، ص 23

2- المصدر نفسه ، ص 466.

3- المصدر نفسه ، ص 20.

4- المصدر نفسه ، ص 21

"تناهى إلى مسمعي حنين سورة يس ... شعرت برعشة خفيفة .. أغمضت عيني للمرة الأخيرة.."[1]

واصلت الحياة دورتها.. تعرت أشجار الصفصاف .. تعريت معها كاشفا عن علامات عميقة في جسدي.. بدأت أطير في أعماق الغيمة، كنت أطير بإتجاه غير معلوم لكن بلذة لم أتعود عليها"[2]

كل هذه المشاهد كانت الأنا غائبة فيها، فيوصل لنا واسيني حالته والمشاعر التي خالجته وصوفيته وكيف تعامل معها لذلك تتضح لنا الرؤية من النص ذاته لا من حيث التصريح باللفظ وعلى تنقيض هذه الفكرة نجد أنه في بعض المواقف إستلزم من الكاتب الإعلان عن " الأنا " دون تورية.. حتى وإن كانت قليلة.. وبناء على ذلك قوله : " .. أنا لا أعرفه كيف أكرهم... "[3]

"... كنت أنا من ملأ بالماء، وأنا من رفسه وألحقت المسؤولية بالدجاج... "[4]

" وأنا أتدحرج نحو الأعالي... "[5]

هذا التفاوت بين الصفحات يوضح لنا أنه لم يتم ذكر وإعلان " الأنا " صراحة إلا مرات قليلة نظرا لاستعمال ذات الكاتب كمرجع، ففي معظم الأحيان كانت " الأنا المضمرة " متواجدة وتفهم بصورة جلية مع تعدد دلالاتها وتغير مفهوماتها .

1- المصدر نفسه ، ص22
2- المصدر نفسه ، ص23
3- المصدر نفسه ، ص22
4- المصدر نفسه ، ص452
5- المصدر نفسه ، ص467

3/ الأنا في مواجهة راويها:

الأنا موضوع شائك في المناقشات الأدبية، فهي " تعبير يعني الذات الواعية، وقد يستخدم المصطلح ليسير إلى تلك السمة أو ذلك المكون من مكونات الشخصية الذي يسيطر بأكثر الطرق مباشرة وفورية على الفكر والسلوك " [1] حيث نجدها تطغى وتكون الشخصية، والحديث عن هذه القضية لابد من ذكر " الأخر " الذي لا يمكن إلغاؤه، فهي ثنائية متطابقة لا تقوم الواحدة دون وجود الأخرى تلازما، والعلاقة بينهما لها أشكال عدة وعادة ما يكون هناك صراع قائم بين طرفي هذه الثنائية وعلى ضوء ذلك نجد أن هذا الصراع يقوم بين الأنا وذاتها، الذات تمر بصراعات داخلية كذلك، تخالجها أحاسيس مختلفة تجعل منها تواجه أناها إما بطريقة مباشرة أو غير مباشرة عند غوصنا في رواية " سيرة المنتهى " نجد أن الروائي من خلال استرجاعه لأحداث سابقة من حياته وسرد رحلته المتخيلة وفي هذا السياق يترائ لنا أول مواجهة لواسيني مع نفسه

يصف لنا مرارة اكتشافه أن الجثة المسجاة في التابوت ماهي إلا شخصه، تلك اللحظة الإنسانية التي عاشها الروائي التي إتسمت بحزنه وفضاعة إحساسه تجاه الموت "... لم اعرف سر الرعشة التي أنتابتني إلا لاحقا، عندما أنحنيت على اليمين .. وقبلت جبهته.. انسحبت فجأة الأرض من تحت قدمي وشعرت بدور قاسي، إرتعشت كل فرائسي و لم أكد قادرا على التحكم فيها، لم يكن الميت.. ينتبهني فقط، لكنه كان أنا، واسيني..." [2] يصف الروائي لحظة المفارقة التي أذهلته، مقابلته لأناه " الميت " كانت صدمة أشعرته بدوار قاسي وخوف من شيء كان مجهول بالنسبة له، فهي لحظة لا يراها الأحياء، يستمر قائلا " تماسكت وأنا أقبض على خشبة تابوت مثل طفل خائف... لكي لا يسقط مغشيا عليه، فركت عيني ثانية وثالثة وسابعة... أغمضت عيني، لكني عندما فتحتهما، رأيت نفس اللوح الذي كتب عليه إسمي، تاريخ ميلادي

1- إبراهيم فتحي: معجم المصطلحات الأدبية، التعاضدية للعمالية للطباعة والنشر، د ط تونس ، د ت، ص47

2- المصدر نفسه ، ص39-40

ووفاتي... "[1] هول الموقف جعل ذات الراوي متخبطة بين التصديق أولا، ولكن كل ما دار حوله كان إثباتا كافيا له، فالرواية تحاول إلهامنا بمدى واقعية تلك الأحداث، الأنا " واسيني " يواجه نفسه، والمشاعر التي خالطته أنذاك من صدمة وحزن وألم واعتزاز أنه بقي أثرا غير منتهي " .. كلمة صغيرة كنت أكررها دائما، ... لم أكن استثناء عظيما في هذه الدنيا، و لم أكن إلها صغيرا، لكني لم أمر على هذه الحياة كغيمة جافة..." [2] يؤكد حالة موته من خلال الكتابة على شاهد قبره، التي بينت بصمته الخاصة في الحياة ولحظة تبينه للحقيقة وانصهاره معها .

لم تكن هناك مواجهات كثيرة ضمت الروية، واسيني عايش الخوف، الصدمة والألم...

صراع الأنا مع ذاتها عادة ما يقوم على التوتر وأحاسيس متباينة، الذات في الرواية السيرية عكست تدخلات وباحت بأمور خاصة، وفي ظل تلك الظروف وقفت على خط المواجهة مع نفسها، فمعظم المواقف كان واسيني متصالحا مع نفسه ومع الأخر على حد سواء، لذلك لم تخرج مواجهات عديدة في الرواية مما بينت لنا الخط المتبع من طرف الأنا خلال هذه الرحلة التخيلية.

1- المصدر نفسه ، ص40.

2- المصدر نفسه ، ص467

4/ تمظهرات الآخر في الرواية:

الآخر من القضايا كثيرة الدراسة، نظرا لكونه عنصر فعال في كل المجالات، والعلاقات المختلفة بينه والأنا. فالآخر من بين مفاهيمه أنه "المختلف في الجنس أو الانتماء الديني أو الفكري أو العرقي"[1] أي أنه يأتي مغايرًا للأنا في كل انتماءاتها، وهنا لابد من بيان أن الرواية السيرية المتناولة جسدت تصورات للآخر لا حصر لها، وكانعكاس لفكرة القول السابق نجد الآخر المحتل، الذي تمثل في محاكم التفتيش والقسوة تجاه كل من وقف محاربا إياها "... محاكم التفتيش المقدس كانت في عز أحقادها أحرقت المكتبة، وعُذب جدي وصديقه حتى الموت"[2]

صورة الآخر هنا جسدت لنا دناءته والممارسات الوحشية ضد المُسْتَعْمَر "... هدم الإسبان مدن الموريسكين وقراهم فوق رؤوس ساكنيها من الشيوخ والنساء والأطفال، لإجبار الثوار على وضع السلاح ..."[3] كشف الراوي عن انحطاط الآخر العدو ومدى ظلمه للأنا

يروى على لسان الأنا "الجد الروخو" عن الآخر "المستعمر" وتعذيبهم المؤذي له ليبين شدة حقارتهم "صمت الألم ربما من كثر دفعي ... بعضهم الآخر يرميني بحجارة ... مع شتائم أكثر وجعا: أحرقوه .. أطردوه إلى أرضه.." [4] هذه الحرب سببت آلاما بمختلف أشكالها، تمثل الآخر القاسي والمعتدي كذلك في الراهب ميخيل العنيف العدائي "... كان ميخيل يريد أن يقتلني رعبا ... حمل ...صوتا ... وقربه من عيني ... أحكموا وثاقي جيدًا، شعرت بلحمة اليد تنزع ... البرودة تلسع الجسد العاري كليا ... كانوا يستمتعون بتعذيبي ..."[5]

1- ماجدة حمود: إشكالية الأنا والآخر (نماذج روائية عربية)، عالم المعرفة، دط، الكويت، 2013، ص 17.
2- الرواية (مصدر سابق)، ص54
3- المصدر نفسه، ص 57
4- المصدر نفسه، ص 62
5- المصدر نفسه، ص 65-66

محاكم التفتيش(*) والراهب الإسباني ميغل على وجه الخصوص. شكّلوا الآخر الهمجي الوحشي وما فعله بالأنا كان عديم الإنسانية. فالراوي رسم صورة مظلمة لأمثال الرهبان العنصريين وممارسات محاكم التفتيش ضد الموديسكين، تلك الأفعال القاتمة والاضطهادية وكل هذه البشاعة أصابت تلك الذوات البريئة بسبب اختلاف الأديان. وعلى النقيض ينقل لنا الراوي صورة معاكسة تماما للآخر عن الأولى، صورة طيبة تجسدت في الكاهن "أنجيلو ألونصو" الذي أنقذ الأنا "الجد" بشهادته

"..شهد أنه كان يراني في الكنيسة كل يوم أحد، فوجئت لأن ذلك لم يكن صحيحًا ..." (1)

ألفونصو لم ينقد جسد الروخو فقط بل قلبه وعقله، حماه بحمته وإنسانيته من سواد الانتقام "لا أدري كيف دخل كلامه لى قلبي، كيف محا الكثير من الأحقاد، لكما فكرت في .. الانتقام، قفز أمامي أنجيلو بهدوئه وسماحة وجهه.." (2) أنجيلو كان بمثابة الهدية الثمينة المقدمة للـــ"روخو"، السارد بين شخصيته بطريقة جميلة مؤثرة، كان الآخر الفارق في حياة الأنا "كان أنجيلو حاضرًا في كل حياتي .. في كل مساراتي ومسالكي .. كان حظي الكبير، وصدفتي التي لن تتكرر أبدًا .." (3) فنظرا لرجاحة عقله واتزانه كان الأنا أكثر من مرحب بهذا الآخر ضمن نطاق حياته.

* محاكم التفتيش: أنشئت بمرسوم بايوي وعين القس توما يدي تركيمادا محققا عاما لها ووضع لها دستور وقوانين، مورست في هذه المحاكم معظم أنواع التعذيب، وأزهقت آلاف الأرواح تحت وطأته، ارتكبتب محاك (التحقيق) التفتيش أعمال بربرية وحسية لتطهير إسبانيا من أثار الإسلام وإبادة تراثهم.

يُنظر: أحمد محمد عطيات، الأندلس من السقوط إلى محاكم التفتيش، دار أمواج للنشر والتوزيع، الأردن، عمان2012، ص 159-161.

1- المصدر نفسه، ص 67-68

2- المصدر نفسه، ص 70

3- المصدر نفسه، ص 70

ينأى بنا واسيني لآخر متألم وحزين، مقهور من حكايات ومكلوم بعدم إكتمال خاصته على خير، "زوليخا" التي رأى والدها يدفن فتألمت لعدم قدرتها على فعل شيء "رأيت جنودا يأتون إلى البيت .. كتمت أنفاسي .. نفس الصرخة التي كتمتها عندما رأيت الحركة يسرقون مني أبي ويخضعوه للتعذيب .. وجعني قلبي وعرفت أني سأموت قريبا .." [1] زوليخا التي عايشت هذا الموقف الشنيع الذي أدمى قلبها، زوليخا التي تعلمت التخلي عن محبوبها بأبشع الطرق، "إبراهيم المسكين لم يم لي و لم أكن له، أولا لأصله الذي صفعوني به .. كنت صغيرة وكان يمكن أن أهرب معه.. لكن هل كان هو قادرًا على الهرب من جيش ... قتل والدي .. في الحروب لا مكان للحب با تَقتل يا تُقتل، هذا ما قاله أحمد ولد خالي .. وهو يسحب ابنة عمه زهرة .."[2] "أحمد" مثل الآخر المضطهد، الآخر الذي يسمع للأفكار المجتمعية ويطبقها على حساب الدين والحب، "أحمد" قتل "زهرة" ".. التحق بجيش التحرير لأنها رفضته ... عندما رفضت بعث لها فيلقا ليأخذوها.. هي لم تلوث نفسها أنقذها شخص طيب من مخالب مختطفها ..أحمد .. ذبحها وأدى عليها صلاة الجنازة مفردًا .." [3] لذا زوليخا تعلمت بالطريقة الصعبة ووأدت حبها الذي ال نور له "قصة بنت خالتي التي كانت في رأسي وأنا أخرج ابراهيما نهائيا من قلبي ... قصة زهرة أتعبتني .. موت بابا أحد فتح عيني.." [4] الصورتين للآخر عبر بها الراوي عن الإيديولوجيات وكيف حتى لاختلافها —إن كانت خاطئة– تدمر الأفراد "أحمد" لم ينقل الرفض، لم يتقبل فكرة أن أحدًا لمس من أحب حتى وإن كان بالإجبار ولا ذنب لها و"زوليخا" ماتت قهرًا بسبب حب بدأ وانتهى في الظلام، الآخر في هذا السياق ظالم ومظلوم بذات القدر الآخر، مصطلح لا تقوم الحياة دونه، يتواجد في كل القضايا، ولطالما أخذ أشكالاً تختلف حسب الموقف .. فيصور لنا المؤلف إشكالية الآخر الديني في نسق ثقافي، فالآخر نقيض للذات،

1- المصدر نفسه، ص 121.
2- المصدر نفسه، ص 121
3- المصدر نفسه، ص 121-122.
4- المصدر نفسه، ص 122.

يقابلها ولا يماثلها، أثناء رحلة الصعود يقابلنا الآخر اليهودي "نينوت وممات" "... يتناهى إلي نشيد عبراني قديم، كنت أسمعه قي صغري من نينوت وممات.. لم يسألهما عن دينهما .."[1]

ترصد لنا هذه الصورة الحمولة الثقافية للآخر، وتباينه العقائدي مع الأنا، كما تنفتح على قضية التعايش الديني بين المسلم واليهودي طالما لا يشكل كلاهما أذى للآخر، فالتعايش الإنساني هو الأسلم. -حسب واسيني- الذي يشكل حضورا للفرد اليهودي في الرواية.

سيرة المنتهى نقلت مواقف عديدة للآخر على طول الرواية، وقد يعود ذلك إلى الشخصيات الكثيرة التي مرت بحياة "واسيني" واختلاف هوياتها وأدوارها في حياته، وبناءًا على ذلك مررنا الآخر العدو -المستعمر- القاسي- المعتدي — الخائن- العاشق —الجزائري— الإسباني.. على تعدد صفاتهم ووجهة نظر الكاتب وإيديولوجياته، فكل الأنساق المذكورة عززت أسس قيام السيرة الذاتية، واستعين بها لتبيان وتوضيح ملامح من حياة "واسيني الأعرج"، دون نسيان أهم الشخصيات التي نلبسها الآخر والتي وظفتها في العنصر الأول: الجد الروخو، حنا فاطنة، الأخ العزيز، ميما أميزار .. هؤلاء آخر في شكل عائلة الراوي.

وَاسيني قدم من خلال سيرته صور مختلفة للآخر، فأناه تكّشفت هويتها من التحامها معه، فالآخر أخذ حيزًا عميقا نظرا لتشعباته وامتداده في جميع القضايا المطروحة داخل الرواية.

1- المصدر نفسه، ص 15.

خاتمة

خاتمة

ختاما من خلال دراستنا لتمظهرات الأنا والآخر والعلاقة بينهما خلصت إلى:

- السيرة الذاتية فن سرد قصصي يتناول فيه الكاتب نفسه، أي ترجمة لحياته الخاصة.
- السيرة الذاتية والرواية متشابكان فعادة ما يقوم المؤلف بتدوير الأحداث لجعلها أكثر دراماتيكية مع إضفاء الصبغة الخيالية، وتداخل الجنسين أنتج لنا: رواية السيرة الذاتية.
- العديد من الكتاب الجزائريين كان لهم نصيب من هذا الفن كمولود فرعون في "ابن الفقير" وواسيني في "سيرة المنتهى".. وغيرهم.
- الأنا مرتبط بالآخر، حيث لا وجود لطرف دون غيره.. فكلاهما في علاقة شرطية حتمية.
- يختلف نوع العلاقة بين الأنا والآخر حسب الموقف، فليست دائما في صراع قد تكون علاقة تقارب وتسامح أو علقة جدلية أو غيرها.. فهي غير ثابتة نظرًا لتعدد تصورات الأنا والآخر.
- استعان واسيني بمجموعة من الشخصيات لإثراء جوانب مختلفة من حياته.
- الصوفية رافقت السيرة طوال السرد: فالأنا الصوفي لم يندثر أبدا نسبة لمعراج الروائي المتخيل.
- استطاعت الرواية بث صور متنوعة ومتباينة للأنا والآخر.
- رواية السيرة الذاتية والتاريخ لهما ارتباط وثيق، قد استعرض وواسيني تاريخ الأندلس ليوجه نقده للمؤرخين حسب وجهة نظره وميولاته الإيديولوجية.
- الأنا لا تواجه أو تتصارع مع الآخر فقط بل أحيانا تقف مواجهة ذاتها، وهذا ما صوره واسيني لحظة انكشاف الحقيقة (الموت).
- كانت تمظهرات "الأنا والآخر" داخل "السيرة الذاتية" مبنية على التشابك المؤتلف، عدى الانعطافة التاريخية التي نقلت صورة الآخر المستعمِر، وها هنا استفاض في تعميق المأزق التاريخي.

قائمة المصادر والمراجع

المصادر:

1 - القرآن الكريم، ورش عن نافع

2 - المدونة: واسيني الأعرج، سيرة المنتهى... عشتها كما اشتهتني، منشورات بغداد، الجزائر، ط1، 2014.

الكتب العربية:

1 - إحسان عباس: فن السيرة، دار صادر بيروت، ط 1 ، 1996.

2 - أحمد محمد عطيات، الأندلس من السقوط إلى محاكم التفتيش، دار أمواج للنشر والتوزيع، الأردن، عمان 2012.

3 - أحمد ياسين السليماني: التجليات الفنية لعلاقة الأنا بالآخر في الشعر العربي المعاصر، دار الزمان، دمشق، سوريا، دط

4 - تهاني عبد الفتاح شاكر: السيرة الذاتية في الأدب العربي (فدوى طوقان وجبرا إبراهيم جبرا وإحسان عباس نموذجا) دار فارس للنشر والتوزيع، عمان، الأردن ، ط1، 2002.

5 - حسن شحاتة: الذات والآخرين الشرق والغرب صورة ودلالات وإشكاليات، دار العالم العربي، ط1، مصر، 2007.

6 - رضوان جنيدي : جماليات الأنا في الشعر المغربي القديم، دار الأيام ط 1 ،عمان، 2015.

7 - رضوان جنيدي: جماليات الأنا في الشعر المغربي القديم، دار الأيام، ط 1، عمان، 2015.

8 - سالم المعوش: صورة الغرب في الرواية العربية، مؤسسة الرحاب الحديثة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط1، 1998.

9 - سعد البازغي وميجان الرويلي: دليل الناقد الأدبي، المركز الثقافي العربي، ط 3، المغرب، 2002.

10 -سعد البازغي: الاختلاف الثقافي وثقافة الاختلاف، المركز الثقافي العربي، ط 1، الدار البيضاء، 2008.

11 -سعد البازغي: مقاربة الآخر مقارنات أدبية، دار الشروق، ط1، مصر، 1999.

12 -سعد الله أبو القاسم: دراسات في الأدب العربي الجزائري الحديث، دار الرائد للكتاب، الجزائر، ط5، 2007.
13 -سلمى بوغازي: أصول فلسفة سارتر، مكتبة المجتمع العربي، ط1، عمان، 2016.
14 -سمير الخليل: دليل مصطلحات الدراسات الثقافية والنقد الثقافي، دار الكتب العلمية، دط، لبنان، 1971.
15 -عبد العزيز شرف: أدب السيرة الذاتية، مكتبة لبنان، الشركة المصرية العالمية للنشر لونجمان، دط، القاهرة/ 1992.
16 -عمرو عبد العلي علام: الأنا والآخر (الشخصية العربية والشخصية الإسرائلية في الفكر الإسرائلي المعاصر) نقلا عن (شاكر عبد الحميد/ الذات والآخر في عملية الإبداع)، دار العلوم، ط1، مصر، 2005.
17 -فاضل أحمد القمود: جدلية الذات والآخر في الشعر الأموي دراسة نصية، دار غيداء، ط1، عمان، 2012.
18 -ماجدة حمود: إشكالية الأنا والآخر (نماذج روائية عربية)، عالم المعرفة دط، الكويت، 2013.
19 -محمد رضا زائري: الذات والغير بين المفهوم الكلي والمفاهيم الفرعية، الاستغراب، دط، دب، 2018.
20 -محمد صابر عبيد: السيرة الذاتية الشعرية، عالم الكتب الحديثة للنشر والتوزيع، ط1، 2008
21 -محمد عابد الجابري: مدخل إلى فلسفة العلوم، مركز الدراسات الوحدة العربية، ط5، لبنان، 2002.
22 -محمد عبد الغني: التراجم والسير، دار المعارف، القاهرة، ط3، دت.
23 -محمود رجب: فلسفة المرأة، دار المعارف، ط1، مصر، 1994.
24 -مراد وهبة: المعجم الفلسفي، دار قباء الحديثة، دط، مصر، 2007.

المعاجم والقواميس:

25 -إبراهيم فتحي: معجم المصطلحات الأدبية، التعاضدية العالمية للطباعة والنشر، صفاقس، تونس، دط، 1986.

26 -إبراهيم مصطفى وآخرون: معجم الوسيط، ج 1، المكتبة الإسلامية للطباعة والنشر والتوزيع، ط2، تركيا، 1972.

27 -ابن منظور: لسان العرب، دار صادر، بيروت، لبنان، مج 1، مادة (أذن-أنى)، ط4، 2005.

28 -ابن منظور: لسان العرب، مج 1، دار الجيل، دار لسان العرب، لبنان، دط، 1988.

29 -أحمد مختار عمر: معجم اللغة العربية المعاصرة، ج 1، عالم الكتب، ط 1، مصر، 2008.

30 -البستاني بطرس: محيط المحيط، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، طج، مادة أده.

31 -جميل صليبا، المعجم الفلسفي، ج1، دار الكتاب اللبناني، بيروت، لبنان، 1986.

32 -الخليل بن احمد الفراهيدي: كتاب العين، تح/ عبد الحميد الهنداوي، ج 2، دار الكتاب العلمية، بيروت ، لبنان، ط 1، 1424ه-2003م، باب السين، ص 298.

33 -مرتضى الزبيدي: تاج العروس من جواهر القاموس،مادة (سير)، مج 1، مكتبة الحياة، بيروت، لبنان، ط1، 2003.

34 -مجمع اللغة العربية: المعجم الوسيط، دار الشروق الدولية، مصر، ط4، 2008.

35 -مجمع اللغة العربية: معجم الوسيط، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، مصر، ط 4، 2004، مادة (سارة).

36 -محمد التونجي: المعجم المفصل في الأدب، ج 1، دار الكتب العلمية، ط 2، لبنان، 1999.

37 -محمد بن مكرم أبو الفضل جمال الدين بن منظور الأنصاري: لسان العرب، مادة (سير)، مج4، دار الكتب العالمية، بيروت، لبنان، ط1، 2003.

38 -محمد بوزواوي: قاموس مصطلحات الأدب، دار مدني، دط، دب، 2003.

39 -محمد مصطفى زيدان: معجم المصطلحات النفسية والتربوية، دار الشروق للنشر، لبنان، ط2، 2004.

40 -كامل المهندس ومجدي وهيبة: معجم المصطلحات في اللغة والأدب، 2، مكتبة لبنان، بيروت، 1984.

الكتب المترجمة:

41 -فليب لوجون: السيرة الذاتية (الميثاق والتاريخ الأدبي)، تر: عمر جبلي،المركز الثقافي العربي، المغرب، ط1، 1994.

42 -جان بول سارتر: الوجود والعدم، تر: عبد الرحمان البدوي، منشورات دار الأدب، ط1، لبنان، 1966.

43 -جورج ماي: السيرة الذاتية، تر: محمد القاضي وعبد الله حوله، بيت الحكمة، قرطاج تونس، ط1، 1992.

44 -سيغموند فرويد: الأنا والهو، تر: محمد عثمان نجاتي، دار الشروق، عمان، ط 4، دت

45 -بول ريكور: الذات بينها كآخر، تر: جورج زيناتي، مركز المنظمة العربية، بيروت، لبنان، ط1، 2005.

الرسائل الجامعية:

46 -حمزة وشان: صورة الآخر في أدب ألبير كامو وجون بول سارتر، رسالة ماجستير، جامعة حسيبة بن بوعلي، 2014-2015.

47 -حنان معزي: حوار الأنا والآخر في رواية كتاب الأمير مسالك أبواب الحديد لواسيني الأعرج، مذكرة مقدمة لنيل شهادة ماجستير، جامعة قاصدي مرباح، ورقة، 2010-2011.

48 -فايز صلاح قاسم عثامنة : السرد في رواية السيرة الذاتية العربية (دراسة في: البناء والتقنيات والنوع)، رسالة دكتوراه، جامعة اليرموك، الأردن، 2010.

المجلات:

49 -أحمد منور: رواية السيرة الذاتية في الأدب الجزائري المعاصر "ابن الفقير أنموذجا"، مجلة المساءلة –مجلة فضيلة- يصدرها إتحاد الكتاب الجزائريين، ع1، 1991.

50 -طارق زياد محمد: تعدد مفهوم الآخرين في الدراسات الثقافية، قضايا الأدب، جامعة البويرة، مج5، ع2، 2020.

51 -عيسى الطهراوي ود. محمد مشعالة: صورة الآخر في الرواية الجزائرية الفرانكونية، مجلة الآداب والعلوم الإنسانية، ع 17، كلية اللغة والأدب العربي، جامعة باتنة، ط1.

52 -محمد كمال سرحان: الذات والآخر في رواية (حب كوبنهاجن) لمحمد جلال، دكتوراه في الأدب الحديث، جمهورية مصر العربية، مجلة جامعة ناصر، ع 6، م1، 2015.

المراجع الأجنبية:

53- Carle Aderhold, le robet mini, (langue francais f noms propres), 27 rue de la glacière, 75013 paris,

فهرس المحتوى

فهرس المحتوى

	العنوان	الصفحة
	شكر وعرفان	-
	مقدمة	أ-ب
	الفصل الأول: المفهوم المصطلحي والصيرورة التاريخية	
	مفهوم رواية السيرة الذاتية:	01
	1 1 المدلول المعجمي:	02
	1 2 اصطلاحا:	03
	أ -عند الغرب:	03
	ب -عند العرب:	04
	1 3 نشأة رواية السيرة الذاتية:	06
	أ -عند العرب:	06
	ب -في الجزائر	10
	ثانيا: مفهوم الأنا والآخر:	13
	2-1- الأنا:	13
	2 1 1 المدلول المعجمي:	13
	2 1 2 اصطلاحا:	14
	أ -فلسفيا:	14
	ب -نفسيا:	15
	ج أدبيا فنيا:	16
	2-2- الآخر:	17
	2 2 1 المدلول المعجمي:	17
	2 2 2 اصطلاحا:	18
	أ -فلسفيا:	18
	ب - ثقافيا:	20

	ج –اجتماعيا:	21
	ثالثا: العلاقة بين الأنا والآخر:	23
	الفصل الثاني: رواية السيرة الذاتية بين الأنا والآخر سيرة المنتهى ..عشتها كما اشتهتني واسيني الأعرج نموذجا	
	1/ تمظهرات الأنا في الرواية:	27
	2/ الأنا المضمرة:	41
	3/ الأنا في مواجهة راويها:	43
	4/ تمظهرات الآخر في الرواية:	45
	خاتمة	50
	قائمة المصادر والمراجع	52
	فهرس المحتوى	-